وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

دور الأسرى المسيحيين في كتابة تاريخ المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل (1672_1727)

الأسير "جرمان مويط" نموذجًا

مذكرة مكملة لاستكمال شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

رميصاء بن جدو

إشراف الأستاذ الدكتور:

بن قومار جلول

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الربتة	الصفة
رحيمة بيشي	أستاذ مساعد أ	رئيس اللجنة
محمد محدادي	أستاذ محاضر أ	مناقشا
جلول بن قومار	أستاذ محاضر أ	مشرفا

السنة الجامعية: 1441_1442 /2021 _2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الشكر أولا شكر الله العلي القدير الذي أنعم عليَّ بنعمة العقل والدين، القائل في محكم التنزيل "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" سورة يوسف آية 7 صدق الله العظيم.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم":(من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه) "رواه أبو داوود.

أثني ثناء حسنا على أستاذي الفاضل جلول بن قومار مشرفي على هذه الدراسة وصاحب الفضل في توجيهي ومساعدتي.

وفاءً وتقديراً واعترافاً مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر لأولئك المخلصين الذين لم يألوا جهداً في مساعدتنا في مجال البحث العلمي وأخص بالذكر جميع أساتذتي في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة غرداية.

وأخيراً أتقدم بجزيل شكري إلي كل من مدوا لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدراسة علي أكمل وجه.

إهداء

إلى والدَّي الكريمين، العظيم أبي والعظيمة أمي

إلى أروع من جسد الحب بكل معانيه

إلى أخوتي أحبائي

مروة _صفاء _راحيل_ جهاد_ عثمان

إلى أستاذي الفاضل ومشرفي

أ.جلول بن قومار

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع وأسأل الله العلي القدير أن ينفعنا به وهو ولي التوفيق.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
ص ص	صفحات متعددة
ع	العدد
د.ع.ط	دون عدد الطبعة
د.ت.إ	دون تاريخ إصدار
د.م.ط	دون مكان الطبعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
N	Numero
P	Page
OP.cit	ouvrage précité

مقدمة

يُعتبر الأسرى المسيحيين والعبيد في المغارب عامة والمغرب الأقصى خاصة منذ القرن 16م، مكوناً هاماً من مكونات المجتمع آنذاك، حيث حدَدت الإحصائيات أن نسبتهم في بلدان المغرب بلغت 20% وإن غلب على هذه الإحصائيات الافتراض والتخمين فهي تعطي صورة عنهم في تلك الفترة، وقد اشتغل هؤلاء الأسرى في مجالات عديدة ومختلفة كالفلاحة والبناء ومنهم من اشتغل خادما في البيوت وفي المدن وفي بلاطات القصور عند السلاطين وغيرها من الأدوار التي مكنتهم من نسج وتدوين مذكراتهم التي تندرج ضمن التأريخ لتاريخ المغرب عامة والمغرب الأقصى خاصة، وهو أهم دور قام به بعض الأسرى أمثال السيور جرمان مويط وأسير الداي "كاث كارث" و"مارمول كارا بخال" وغيرهم من الذين سجلوا أحداث وتفاصيل كثيرة في مختلف المجالات الحياتية (السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) بأهداف عديدة ومختلفة، ورغم ما تحمله في طياتها من تحاملات ربما أو تناقضات ، لكنها تعتبر إضافة مهمة في كتابة تاريخ المغرب تستحق الدراسة والتحقيق.

وبهذا العمل نرفع الستار والغموض ونسلط الضوء على ما تحمله مذكرات الأسرى وكتاباتهم في تاريخ المغرب الأقصى لاعتبارها مصادر أولية للباحثين في تاريخ المغرب في هذه الفترة الممتدة ما بين القرن السابع عشر و الثامن عشر الميلادي وخاصة منها مذكرات الأسير "السيور جرمان مويط" الفرنسي إذ رغم محدوديتها في الزمان إلا أنها ستمكننا من رسم صورة واضحة نوعا ما عن مكون الأسرى بمختلف أدواره في المغرب الأقصى. وهو موضوع مذكرتي هذه الموسومة بعنوان" **{دور الأسرى في كتابة تاريخ المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل العلوي الشريف(1672_1727) الأسير "سيور جرمان مويط" نموذجا}**.

_الإطار الزماني والمكاني:

أما الفترة المختارة من الزمن فهي الربع الأخير من القرن السابع عشر (17م) والبداية القرن (18) وبالتحديد ما بين (1672 _1727) وهي فترة حكم السلطان العلوي "المولى إسماعيل الشريف"، والتي تعتبر من أزهى الفترات وأهم العهود في حكم المغرب

الأقصى عامة وفي حكم الدولة العلوية الشريفة خاصة، نظرا لقوة شخصية هذا السلطان البارزة التي كان تأثيرها كبير جدا في سيرورة الأحداث التاريخية وتوجيهها، حيث مكنته من البقاء في الحكم مدة طويلة تناهز نصف قرن من الزمن تزايدت فيها نسبة تواجد الأسرى المسيحيين بالمغرب، الذي كان من بينهم الأسير "جرمان مويط".

_أسباب اختيار الموضوع:

***الدوافع الذاتية:**

_ رغبتي في التخصص في تاريخ المغرب الأقصى لتوفر المصادر فيه مقارنة بتونس والجزائر.

_ ميلي إلى هذا النوع من الدراسات التاريخية، ورغبتي الملحة في الاطلاع على ما كان عليه الأسرى في المغرب وتفاصيل حياتهم ومدى اندماجهم في المجتمع المغاربي.

_ تشجيع الأستاذ المشرف لي لخوض غمار البحث في هذا الموضوع باعتبار أن الكتابات عن الأسرى في الفترة الحديثة في المغرب قليلة.

***الدوافع الموضوعية:**

_ إن موضوع كتابات الأسرى المسيحيين في تاريخ المغرب الأقصى من المواضيع المهمة على مستوى الدراسة حيث يعتبر عنصر من عناصر نسج الأحداث التاريخية والتاريخ من زاوية مسيحية غربية بالتدقيق والتحقيق فيها قد تكشف عن حقائق أو مغالطات قبعت في زاوية التجاهل والتغافل عنها من قبل الباحثين.

_ إن موضوع البحث في تاريخ الأسرى و ما يتعلق بتفاصيلهم قليل التناول سابقا وخاصة في الدراسات العربية، لهذا ارتئيت أن تكون دراستي من المواضيع الجديدة الطرح.

_ معرفة تاريخ المغرب الأقصى من خلال النظرة الغربية ومقارنتها بالعربية المغربية مع التدقيق والتحليل ومحاولة الخروج باستنتاجات ونصائح هامة تفيد الباحث في التاريخ عامة حول ضرورة الفطنة والنباهة في تناول الدراسة التاريخية.

_البحث في شخصية المولى إسماعيل التي أثارت جدلا كبير بين المؤرخين ومعرفة حقيقتها من خلال ما وصفه المؤرخون المغاربة والأسرى بالمقارنة والتحليل بينهما ومحاولة الخروج باستنتاجات منصفة.

_رغبتي القوية في فهم مدى تماثل أو تناقض سرد الأحداث التاريخية وتناولها بين الأسرى المسيحين والمؤرخين المغربيين.

_إشكالية الدراسة:

إن ظهور عنصر الأسرى بكثرة في المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل واندماجه في المجتمع بشكل كبير جعل منه مكونا مهما قام بأدوارٍ كبيرة ساهم من خلالها في نسج الأحداث التاريخية اتي تهم تاريخ المغرب الأقصى، ومن هنا تبرز الإشكالية العامة الرئيسية :

ما مدى مساهمة الأسرى المسيحيين عامة والأسير مويط خاصة في كتابة تاريخ المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل؟

ومن التساؤلات الفرعية نذكر:

***ما موقف "المولى إسماعيل" من مسألة الأسرى و فدائهم ؟**

***ما الجوانب التي ركز عليها الأسير "جرمان مويط" في مذكراته؟**

*** هل يمكن أن نعول على هذه الكتابات و نعتمد عليها في فهم ودراسة وكتابة تاريخ المغرب الأقصى؟**

***هل الأسير جرمان مويط كان محقا في وصف المولى إسماعيل أم متحاملا عليه؟**

_الخطة المعتمدة:

نظمت هذه الدراسة في خطة اشتملت على مقدمة و ثلاثة فصول وخاتمة بعض الملاحق المهمة التي تخدم الموضوع.

الفصل الأول والذي كان بعنوان "المولى إسماعيل العلوي وعلاقاته الدبلوماسية مع فرنسا وإسبانيا (مسألة الأسرى)"، حاولت فيه الإلمام بما جاء في المصادر المغربية العربية ومقارنتها بما جاء في المصادر الغربية المسيحية بشأن التعريف بشخصية "المولى إسماعيل" وصفاته. كما تطرقت إلى أهم المحطات التاريخية في علاقاته الدبلوماسية (السفارات) مع فرنسا وإسبانيا بشأن مسألة الأسر والفداء في محاولة لإبراز موقف المولى إسماعيل من هذه القضية وتوضيح سبب تواجد بعض الأسرى بالمغرب لفترات زمنية طويلة أمثال "السيور جرمان مويط".

أما **الفصل الثاني**: فقد تناولت فيه جزئية من مذكرات جرمان مويط والتي ركز عليها بشدة وهي مسألة حال الأسرى المسيحيين في المغرب، لباسهم.. سكنهم.. مهامهم.. وبعض القصص المثيرة لهم. مع الرد عليها بما استطعت إليه سبيلا من جمع المصادر والمراجع أخرى في الموضوع.

أما **الفصل الثالث**: تطرقت فيه لكتابات الأسرى المسيحيين لتاريخ المغرب الأقصى عامة، أمثال الأسير "مارمول كرابخال" و" الأسير أنطونيو دي صالدانيا" و الأسيرة الهولندية " ماريا ميتلن" بعد التعريف بهم وبهدف تدوينهم لمذكراتهم بشيء من الإيجاز. ثم تعمقت كثيرا في مذكرات الأسير سيور جرمان مويط في كتابه " رحلة الأسير مويط" الذي حققه الدكتور محمد حجي ومحمد الأخضر، وقسمتها إلى أربع مجالات (سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية-عمرانية) وصنفتها حسب هذا التقسيم مع نقدها بالرد على ما يجب الرد عليه و تأكيد ما هو مؤكد.

_المنهج المعتمد في الدراسة:

لكي أصل إلى الهدف المنشود من هذه الدراسة اعتمدت على المنهجين التاريخي الوصفي والمنهج المقارن و والتحليلي. حيث اعتمدت على المنهج الوصفي في وصف العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا وإسبانيا. أما المنهج التاريخي المقارن فقط اعتمدت عليه في مقارنة المصادر والمراجع الغربية بالمغربية في تعريف المولى إسماعيل ووصفه.

أما المنهج التحليلي فقد حاولت به تحليل مذكرات الأسير "سيور جرمان مويط" لكي أصل إلى الحقائق التي يمكن اعتمادها من كتاباته وما يجب توخي الحذر منها. لأتمكن من الوصول إلى الإجابة على التساؤلات التي طرحتها في إشكالية الدراسة

_الدراسات السابقة:

في حدود علمي المتواضع ، توجد في هذا الموضوع دراسات غربية تناولت موضوع الأسرى les captifs لكنها تميزت بطغيان النظرة الغربية الحاقدة عن المسلمين في بعض الأحيان مما يستدعي قراءتها بحذر وفطنة و تروي، أما الدراسات المغاربية فهي قليلة وشحيحة جدا بالموازاة مع ما أنتجه الأوربيون، رغم سعي المغرب في تكوين مدرسة تاريخية حديثة. ومن هذه الدراسات أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

الدراسة التي قامت بها ليلى مزيان بعنوان الأسرى الأوروبيين في أرض المغرب خلال القرن 17 و18م والتي سلطت فيها الضوء عن الأسرى وحياتهم في المغرب الأقصى.

les captifs européenne en terre marocaine au xvii et xviiie siecles.

وكذلك الدراسة القيمة التي خصصتها عن الأسرى الإسبان في المغرب الاقصى.

les captifs espagnoles au maroc au xvlle et xvll siecles.

ومن الدراسات الهامة أيضا، دراسة "شلر بيتز" بعنوان الأسرى الفرنسيين في المغرب خلال القرن 17 و18 .وتعتبر دراسته من الدراسات الموضوعية والمنصفة لتاريخ الأسرى في المغرب وما يؤسف له أنني لم أستطع الوصول إليها رغم محاولاتي العديدة.

pinz chaler: les captifs frençais au maroc au xvii siecle 1577 1699.

وما كتبه أيضا "أنطوني رولي في دراسته الجيدة تحت عنوان " الأسر والأسرى في البحر الأبيض المتوسط في الفترة الحديثة" ، تناولت بالتحليل ظاهرة الأسر والقرصنة والأسرى في البحر الأبيض المتوسط بين المسلمين والنصارى، من خلال الحرب المقدسة كما يرونها.

captifs et captivités en méditerranée a l'epoque woderne.

وما كتبه الأب "دومينيوف بوسنو" عن حالات الهروب لبعض الأسرى المسيحيين في المغرب

quelque cas dévasions de captifs chrétiens fin maroc au xviie debut xvll siecle.

_الهدف من الدراسة:

*عموما: تسليط الضوء على عنصر الأسرى المسيحيين في المجتمع المغربي والوصول إلى الأدوار التي قاموا بها في المجتمع المغربي من خلال كتاباتهم، وإبراز مدى أهمية ما دونوه فيها.

*خصوصا :الوصول إلى كيفية تناول "جرمان مويط" لسرد مجمل الأحداث التي مرت به والتجارب التي مر بها في المغرب مع التعرف على نظرته لشخص "المولى إسماعيل" وإبراز ما تحمله من تناقضات بالمقارنة بين ما جاء في المصادر الاجنبية سواء كتابات الأسرى أو المستشرقين أو الرحالة مع ما جاء في المصادر العربية المغربية.

_التعريف بأهم مصادر ومراجع الدراسة:

***المصادر والمراجع العربية:**

1_المترع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف:

لمؤلفه مولاي عبد الرحمان ابن زيدان ،مؤرخ الدولة العلوية، وأحد أبنائها، تقديم وتحقيق، عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، بمطبعة إديال بالدار البيضاء بالمغرب، سنة 1993 م، والذي

استفدت منه في التعريف بالمولى إسماعيل والرد على جملة من الدعايات عليه من مؤرخين وسفراء مسيحيين.

2_كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب:

لعبد الهادي التازي في عشر مجلدات ، و قد اقتصرت على المجلد التاسع الذي خصصه للعلويين في سياستهم الخارجية، سواء مع جيرانهم الأتراك العثمانيين، أو مع الدول الأوروبية ، منها فرنسا، والبرتغال، واسبانيا، فهو عمل موسوعي كبير ، أفادني في الفصل الأول بإعطاء لمحة عن علاقات المغرب في عهد العلويين وبالأخص المولى إسماعيل مع فرنسا وإسبانيا.:

3_ كتاب تاريخ الضعيف الرباطي:

لمحمد بن عبد السلام بن احمد الرباطي، كان حيا عام 1233 هـ 1818 / م، المنشور تحت اسم، تاريخ الدولة العلوية السعيدة من النشأة إلى أواخر عهد المولى سليمان ، منشورات دار الثقافة ، الدار البيضاء، 1988 م، والذي اعتمدت على الأحداث التاريخية في عهد المولى إسماعيل والمولى الرشيد ومقارنتها بما ذكر في مذكرات مويط.

4-رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690)م 1691 /م

تأليف الكاتب والسفير، محمد الغساني الأندلسي، أبو عبد محمد الوزير الغساني، والتي حققها نوري الجراح، ومن نشر دار السويدي للنشر والتوزيع، بأبو ظبي ،سنة 2002 م، وهي الطبعة الأولى.

5-كتاب روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف:

لمحمد الصغير اليفرني ،حققه عبد الوهاب بن منصور، ط 03 ،المطبعة الملكية ، الرباط ،سنة2007 م، والذي أفادني بكثير من الوثائق ،التي اعتمدها المحقق، في تقديمه للكتاب،

مع اعتماده على الكثير من الصور الخاصة بملوك الدولة العلوية الأوائل، بالإضافة إلى نشره لبعض المعاهدات.

6_العلائق السياسية للدولة العلوية:

لابن زيدان عبد الرحمن المتوفى سنة 1365 هـ 1945 /م، حققه عبد اللطيف الشاذلي، ونشرته المطبعة الملكية بالرباط سنة 1999 م، وتناول دراسة العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وبعض الدول الأوروبية.

_وفي المجلات:

مجلة ليكسوس:

وهي دورية الكترونية أكاديمية تهتم بنشر المقالات العلمية في حقل التاريخ والعلوم الإنسانية، وتخضع مقالات المجلة للتحكيم من طرف لجنة مكونة من أساتذة وباحثين لهم تجربة ودراية في حقل الدراسات التاريخية. وأصبحت مقالاتها منذ سنة 2018م متوفرة في قاعدة البيانات البيبلوغرافية لمؤسسة دار المنظومة بالجامعات العربية بالشرق الأوسط.

_المصادر والمراجع الأجنبية:

1_كتاب رحلة الأسير جرمان مويط:

والذي هو عبارة عن مذكرات الأسير السيور جرمان مويط الفرنسي الذي أسر في المغرب الأقصى في 1670 وبقي في الأسر مدة احدا عشر سنة سجل كل تفاصيلها في هذا الكتاب الذي كتبه بعدما رجع إلى فرنسا وشهد سفارة الحاج محمد تميم في 1682 بهدف إبراز معاناة الأسرى في المغرب للشعب المسيحي واستنهاض هممهم لإنفاق المال في سبيل فدائهم ، طبع في السنة التي بعدها و في 1990م ترجمه الأستاذين محمد حجي ومحمد

الأخضر، وهو كتاب مهم جدا في هذه الدراسة اعتمدت عليه بشكل كبير كنموذج غني بتاريخ المغرب الأقصى من طرف أسير.

2_Henry de castries: Moulay ismail et Jacques 2 une apologie de l'islam par un sultan du maroc.

من تأليف الكونت "هنري دوكاستري" كاتب مسيحي فرنسي كان ضابط بالجزائر لفترة زمنية طويلة، اهتم خلالها بالإسلام وله العديد من المؤلفات لتاريخ المغرب. اعتمدت على هذا الكتاب في تعريف المولى إسماعيل تاريخه ونظرته له.

3_Leon Chantale de la veronne: Vie de moulay ismail

_وفي المجلات:

cahiers de la mediterranée

مجلة كراسات البحر الأبيض المتوسط

وهو مختبر أبحاث تابع لجامعة نيس–صوفيا أنتيبوليس ، في نسخة ورقية وفي نسخة إلكترونية بدعم من المجلس الإقليمي بروفانس ألب كوت دازور ، تأسست في عام 1970، وهي مجلة دولية متعددة التخصصات ، تنشر ملفات مواضيعية ومقالات متعمقة ، مع إصدارين سنويين تضاف إليها أعداد خاصة.

الصعوبات المعترضة:

لا شك أن أي باحث مجد يتعرض لصعوبات البحث المضنية وبخاصة في موضوعٍ الكتابات العربية فيه قليلة كموضوع الأسرى المسيحيين في الفترة الحديثة، ومن هذه الصعوبات أذكر.

_عدم تمكني من الحصول على بعض المصادر والمراجع المهمة، رغم الجهد المتاح الذي بذلته إذ لو تمكنت من هذه المصادر والمراجع لكانت إفادتي أكثر ، ككتاب " الأسرى الفرنسيين في المغرب في القرن 17و18م" من تأليف شلر بينز الذي تناول حياة الأسرى المسيحيين في المغرب وتاريخ المولى إسماعيل بنوع من الإنصاف. وأيضا كتاب" حياة المولى الرشيد والمولى إسماعيل " وهو من مذكرات لأسير السيور جرمان مويط أيضا.

_ و من الصعوبات الأخرى عامل ضيق الوقت الذي زاحمني مع كثرة الأعمال و الواجبات اليومية.

_ ومن الصعوبات أيضا عدم القدرة على التنقل وزيارة المكتبات الولائية والوطنية نظرا لسوء للظروف الصحية التي تعم لبلاد بسبب تفشي وباء كورونا.

وأخيرا فإن أصبت في شيء من هذه الدراسة فبتوفيق من المولى عز و جل و عونه ، و إن كان غير ذلك ، فحسبي أنني اجتهدت و حاولت ، آملة أن أستفيد من توجيهات أساتذتنا الفضلاء الذين وكل إليهم عملي للتقويم و التصحيح . و الله الموفق و هو ولي كل خير و سداد

الفصل الأول

المولى إسماعيل العلوي وعلاقاته الدبلوماسية مع فرنسا وإسبانيا(مسألة الأسرى)

اولا: المولى إسماعيل بين النظرة الغربية والمغربية .

1.المولى إسماعيل الشريف في الكتابات المغربية:

2.المولى إسماعيل في الكتابات الغربية.

ثانيا: علاقات المولى إسماعيل الدبلوماسية مع فرنسا وإسبانيا(مسألة الأسرى)

1.علاقة المولى إسماعيل الدبلوماسية مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا

2علاقات المولى إسماعيل الدبلوماسية مع "كارلوس الثاني" ملك إسبانيا

خاتمة الفصل

أولا: المولى إسماعيل بين النظرة الغربية و المغربية:

إن السلطان المغربي "المولى إسماعيل" شخصية بارزة في تاريخ الدولة العلوية خاصة وتاريخ المغرب الأقصى عامة، أرخ له العديد من الباحثين حيث تباينت الآراء عنه وخاصة بين المؤرخين المغاربة والمسيحيين، فقد تميز كل طرف بنظرة خاصة بين المدح المبالغ فيه والذم والتلفيق، مما جعلها قضية جدلية تستحق البحث.

1. المولى إسماعيل في الكتابات المغربية:

أ_ تعريفه:

هو المولى إسماعيل الشريف الحسني السجلماسي، من أعظم سلاطين الدولة العلوية، وصاحب أطول فترة في الحكم على مر تاريخ الأسر الحاكمة في المغرب(1727-1672)[1]

قال فيه الضعيف الرباطي:" هو السلطان المؤيد المنصور الملك المظفر المشهور إكليل الزمان وفريد الأوان ، الملك المجاهد القاطع دابر كل باغ معاند الشريف الجليل المنيف الأصيل ..شَرف سُلجلماسة وأماكنه وديارة بل وجميع المغرب بجهاته وأقطاره، أحيا الله به رسوم الدين بعد دروسه وأضحك به وجه الزمان بعد عبوسه وأخمد به الفتن بعد تأجج نارها... انتعشت به الأيتام و الأَرامل"[2].

وقال فيه اليفرني: "... دولة من أنسى بحسن سيرته جميع الدول، وارتدى من مكارم أخلاقه ما لم يخطر ببال أحد في العصر الأول، مهد بجيش لسَّائرين سبلا فجاجا.. أبي الطَاهر مولانا إسماعيل..

---

[1].أبو القاسم الزياني: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تح: رشيد الزاوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ع.ط، المغرب، 2008م، ص79.

[2] .محمد الضعيف الرباطي: تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تح: أحمد العماري، دار المأثورات، ط1،د.م.ط،1986م، ص 58

ما زالت كؤوس عدله للشاربين لا فيها غول، وفريضة أيام حياته موسومة بالعدل، ولا يزال الملك فيه وفي أعقابه لا يرى الناس فيه اعوجاجا.."[1]

ب_ مولده ونشأته:

اختلفت الآراء في ذكر مولد المولى إسماعيل العلوي الشريف فهناك من قال انه ولد بسوس وهناك من ذكر أنه ولد بتافيلالت في قصر أبحار سنة 1645. نشأ في حجر والده العظيم الشأن، ولما بلغ الثالث عشر من عمره تولى رعايته و كفالته أخوه المولى الرشيد وتعلم منه كل الخصال الحميدة من الشجاعة والأمانة والمروءة والحزم والعزم. ولما بلغ المولى إسماعيل الرشد استخلفه أخوه "المولى الرشيد" على حكم مكناسة وضم إليها مدينة فاس وأسكن بها ودانت له العباد والبلاد. و تمت له البيعة على حكم المغرب الأقصى بعد وفاة اخيه بستة أيام يوم الأربعاء بفاس وحضرها مشايخ العلم والفقهاء الدولة[2].

كانت شخصية المولى إسماعيل دو طبيعة عسكرية أعطت لفترة حكمه استثناء في تاريخ المغرب الحديث، حيث حقق مكانة مرموقة للمغرب الأقصى بين دول البحر الأبيض المتوسط بالتنظيم العسكري المحكم المتمثل في جيش العبيد البخاري[3] الذي استطاع أن يقضي به على الثورات الداخلية والمتمردين أمثال ابن أخيه محمد بن محرز، دامت جهوده في ذلك أربعا وعشرين

---

[1]. محمد الصغير اليفرني: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تح: عبد الوهاب المنصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط،1995م، ص13.

[2].عبد الرحمان ابن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، تح و تق: عبد الهادي التازي، مطبعة إديًال، ط01، الدار البيضاء، 1993م، ص46.

[3]. سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخاري ، أن المولي إسماعيل لما جمعهم واستعان بهم في الانتصارات المتتالية حمد الله وأثني عليه ثم جمع أعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم " أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهي عنه نتركه ونقاتل " فلهذا قيل لهم عبيد البخاري ، وجعل لكل قصبة حامية من جيش العبيد غالبا يتراوح عدد أفرادها بين 400،3000 رجل مصحوبين بخيلهم ونسائهم وأولادهم ، تمدهم القبائل بالمؤن ، وكان القائد في كل قصبة هو المسئول عن سلامة منطقة حراسته وذلك حتي تسود الطمأنينة والهدوء ، فمن وقع شيء في ترابه يعاقب عليه قائد القصبة ،ينظر: أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى(الدولة العلوية) ،سبعة أجزاء، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب والدار البيضاء، ج7 ، ص ص 59. 58.

سنة. وصلت حدود المغرب في عهده إلى تخوم السودان وحدود تلمسان[1]، فقد قال اليفرني:"...وانتشرت دولته في عمائر السودان وامتدت مملكته من جهة الشرق إلى نواحي تلمسان، ملك سهل المغرب ووعرها ودان له قريبها وبعيدها واستولى على تخوم بلاد السودان وبلغ منها ما لم يبلغه ملك قبله، دخل في طاعته كثير من عمائرها وما تمهدت له البلاد إلا بعد أن أخمد ثوار أهل المغرب وحروبهم عليه وأولهم أهل فاس"[2].

وضع لنفسه هدف استعادة دولته إلى سلامتها الكاملة ، من خلال وضع حد لوجود الجيوب الإسبانية [3]،حيث يرجع له الفضل في إرساء معالم المغرب الأقصى في وقت كانت فيه البلاد ممزقة ومهددة بالتفكك والضياع، فقد عمل مباشرة بعد بيعته على تحرير الثغور المحتلة، فاسترجع المعمورة سنة 1681 وبعدها طنجة سنة 1684 من سيطرة الإنجليز، ثم فتح مدينة العرائش سنة 1689 وبعدها أصيلا في1691[4]. كما اشتغل المولى إسماعيل ببناء القصور وخاصة في مكناس التي اتخذها عاصمة لحكمه، بالإضافة إلى الأسوار، والمساجد واولها المسجد الأعظم الشهير المجاور لقصر النصر[5].

إن المباني التي شيدها المولى إسماعيل بمدينة مكناس خاصة من القصور والمساجد والمدارس والبساتين شيء تذهل له الأبصار وتعجز عنه قدرة الدول الحديثة والقديمة فهي ضخمة تفوق ما بناه كسرى في المدائن والفراعنة في مصر والروم بالقسطنطينية وغيرها من المباني. وقد قال فيها الزياني أنها

---

[1] .خالد الصقلي: رسالة العلامة القاضي العربي برحلة إلى السلطان المولى إسماعيل العلوي في قضية الحراطين، في مجلة ليكسوس، د.ع.إ، ع21، د.م.إ، فبراير 2018 م، ص 18.

[2].محمد الصغير اليفرني: المصدر السابق، ص 65.

[3]. Ahmed Farouk: Quelques cas d'évasions de captifs chrétiens au Maroc, fin XVIIe- début XVIIIe siècle, selon le père Dominique Busnot, *Cahiers de la Méditerranée* , n87, 15 juin 2014,p3

[4].عبد الرحمان بن زيدان: المرجع السابق، ص07.

[5]. أبو القاسم الزياني: البستان الضريف في دولة أولاد مولاي الشريف(من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن نعبد الله)، تح: رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، د.ط، د.ت.ط، د.م.ط، ص148.

كثيرة لم يرى أثرا أعظم منها لسلطان من قبل وكانه جعل مباني الدول كلها في جوف قلعته بمكناس[1].

ولما بلغ المولى إسماعيل ثلاثة وثمانون سنة قلت حركته بسبب كبر سنه وفي سنة 1727م أصابه مرض شديد توفي على إثره يوم سبت ثامنة وعشرون من رجب ودفن بقصبة في مكناس[2].

ج_ صفاته :

وصفه الضعيف الرباطي بقوله:" أدم اللون، أكحل العينين أجعد الشعر، معتدل القد ،ليس بالطويل ، أشيب اللحية وكأنها قطعة من ثلج، سميح الوجه كريم اللقاء، حسن العفو، حليما، متواضع لله تعالى، مكرما للصلحاء موثر لهم، مرفعا للعلماء مقربا لهم حيث أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول العام، فصيح اللسن ذاكر للتواريخ وأيام الناس، نافذ الرأي، ذو حزم وسياسة وشجاعة"[3].

كما وصفه مؤرخ الدولة العلوية ابن زيدان بقوله: "يظهر نحيف الجسم ،أبيض البشرة ، أسود العينين يظهر منهما الحلم قليل لحم الخدين محدب الذقن غليظ الشفتين طويل اللحية. حاد الذهن نشيط لا يعرف الملل ولا الكسل خفيف الحركة مهر في الفروسية والألعاب الرياضية متجلد في الحوادث لا تزعزعه العواصف، من شدة تقواه حمل راية الإسلام في شواطئ البحر الأحمر والأبيض المتوسط كان يلبس عمامة بيضاء و برنوسا يتلثم بجناحه ويقف عليه حاملين مضلة تضله وبجانبه كاتبه ويحض مجلسه ثمانية من أعيان الدولة عارية رؤوسهم وعبيد وحرس لا يتجاوز عددهم الثلاثون"[4].

---

(1).عبد الرحمان ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس،خمسة أجزاء، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط01، بور سعيد_القاهرة،2008م،ج 01، ص 217.

(2). الضعيف الرباطي: المصدر السابق ، ص89 .

(3). نفسه، ص90

(4).عبد الرحمان ابن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، المرجع السابق، ص47.

2. المولى إسماعيل في المصادر الغربية:

وصف الأسير "جرمان مويط" المولى إسماعيل بقوله: "طويل القامة ووجهه كذلك ،ذو لحية طويلة ومتفرعة ،نحيف جدا، وهو قوي الشخصية وشجاع يتولى تصفيف جيوشه بنفسه في المعارك يسير على رأسهم كما لا يتخلفهم فيها أبدا، له مهارة كبيرة وخاصة في استعمال الرمح وركوب الخيل ، صبور في الشدائد رغم المصائب التي حلت بإمارته وإذا ذكر في ذلك يقول دائما " إن كان الله قد أتاني الملك وقضى لي أن أحكم دهرا طويلا فلا يستطيع أحد أن يمنعني منه". حاشيته من مائتي شخص من الشرفاء والقياد الذين يتميزون بملابسهم التقليدية الأنيقة، يتنقلون معه عند التفسح، بالإضافة إلى حوالي أربعة ألاف من الحراس السود الذين يسكنون في الخيام حول مدينة مكناس". وحسب تقدير مويط فقد كان المولى إسماعيل ذو نظرة عذبة لكنها لا تدل على إنسانيته بل على قسوته الشديدة حيث شهد عليه رعاياه أنه لم يسبق أن كان عليهم أمير يضاهيه في القسوة، وفي اهتمامه بنفسه[1].

وبخصوص قسوته قسوة ذكر السفير الفرنسي "سان أولون Saint Olon أنه عندما قدم إلى المولى إسماعيل وقابله، ظهر أمامه هذا الأخير ويديه ملطختان بالدماء حيث قتل عبدين من عبيده السود، وقطعهما أطرافا بالسكين! [2].

السؤال المطروح: إن كان ما قاله هذا السفير صحيحا، هل لسلطانٍ في مكانة المولى إسماعيل أن يتفرغ لهذا الشأن بنفسه؟ و لماذا لم يأمر جنوده بهذا؟ هل يسمح له ذكاءه وفطنته أن يخرج لسفير بهذا المنظر دون تفكير في أن هذا السفير سيأخذ عنه نظرة سيئة يمكن لها أن تعيق سلامة العلاقات بين المغرب وفرنسا؟

---

(1).جرمان مويط: رحلة الأسير مويط، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، د.ط، د.م.ط، د.ت.ط، ص47.

(2).عبد الرحمان بن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، المرجع السابق، ص185.

أما "هنري دوكاستري" فقد نعت المولى إسماعيل بالطاغية السفاك لدماء، وأن قسوته مهما بدت فضيعة كانت أحيانًا عادلة ، لكنها كانت جزءًا من نظام الإرهاب الذي كفل به هذا السلطان الأمن العام في المغرب ضد كل خطر[1] .

بينما ذكر المؤرخ المغربي " عبد الرحمان ابن زيدان " بأن الكثير من الأوروبيين يتفننون بالسب والطعن في ملوك المغرب وخاصة المولى إسماعيل، ولا يعتمدون على الحقائق في كتاباتهم بالإضافة إلى أنهم أن معظمهم غير عارفين بالظروف الوقتية و جاهلون بتقدير أعمال المولى إسماعيل الدموية ولهذا حكموا عليه بالصرامة والشدة المبالغ فيها ولا يراعون ما يجب على الباحث الناقد من الآداب، بل تراهم يهاجمون بغير علم، وأن هذه المبالغة في وصف قساوته كانت أحق بأن تنسب إلى قساوستهم الذي كانوا في قسوة حادة مع من يخالف تعاليم الكنيسة بقساوة لا يمكن ارتكابها من غير حيوان مفترس من الذبح والشنق والإحراق بالنار[2].و يؤكد "هنري دوكاستري" أيضا أن معظم المؤرخين الأوروبيين من الأسرى والسفراء والقناصل تحاملوا على المولى إسماعيل في كتاباتهم وبالغوا في وصفه بأوصاف تذل على القسوة الشديدة في شخصه وخاصة مع الأسرى المسيحيين حيث كان يكلفهم مالا يطيقونه، في حين لم يقم بوصفه أحد من المغاربة الذين عاصروه بهذا السوء تجاه الأسرى. كما اتهموه أيضا بالنفاق الديني و تجاهلوا تماما تدينه حين كان يأتي إلى بلاطه المرتزقة الدينيين والثالوثيين الذين كانوا في المغرب في مهمة الفداء، والذين كانوا قليلو المعرفة بدينهم ينشغلون فقط بخدمتهم الخيرية والإخلاص، كان يناقشهم السلطان في الدين وهم دائما ما يتجنبون هذه المحادثات قدر الإمكان ، مرتجفين لظنهم أنها تنتهي إما بالتهديد أو التعذيب ، لكن المولى إسماعيل لم يكن يخوض فيها إلا بسماحة، إذا أراد أن يجعل محاوريه المسيحيين يدركون ويعلنون حقيقة الإسلام ، فقد كان كذلك بالمنطق لا بالعنف بخطاباته حيث قال لآباء الرحمة في نهاية عرض طويل كان قد

---

(1).Henry de castries: Moulay ismail et Jacques 2 une apologie de l'islam par un sultan du maroc, Editeur Ernest Leroux, Paris 1903, p p18 .08

(2). عبد الرحمان بن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، المرجع السابق، ص ص 184 185.

ألقاه عن العقيدة الإسلامية ذات مرة: " نحن جميعًا أبناء آدم وبالتالي إخوة و الدين فقط يصنع الفارق بيننا، وطاعة لأوامر شريعتي ، أحذركم بإحسان من أن الدين الصحيح هو دين محمد[1].

كما أن هناك من أنصف السلطان المولى إسماعيل من المؤرخين الأوروبيين أمثال "شالر بنز" في كتابه " الأسرى الفرنسيون في المغرب في القرن 17م" الذي اعتبر كل من مويط وأمثاله من الرهبان والأسرى الذين كتبوا عنه مبالغون ومشوهون للتاريخ بنسج من خيالهم لتضليل العامة وبهدف تشويه الاسم المغربي والتركي بصفة عامة في العالم المسيحي ، حيث ذكر أن المولى إسماعيل كان متساهل مع الأسرى ويحترم عوائدهم وأحوالهم الاجتماعية ولا يفرق بين المتزوجين منهم بل ويأذن بزواج العزب منهم ببعضهم تحت إشراف الرهبان الذين كانوا في المغرب حيث كان يقول "أنه ينبغي أن يكون لكل امرأة زوج يحصنها ويتولاها" كما كان يخص الأُسر منهم بمنازل ولا يكلفهم بالأعمال مثل الأسرى العزب ليتفرغوا لشؤون أسرهم. كما كان لهم كنيسة في مكناس يقومون فيها بشعائر دينهم، ولهم محلات كمستشفيات يعالجون فيها مرضاهم تحت تكليف البعض منهم، وفي عهد المولى إسماعيل بالذات كانوا يسكنون محلات بدون أجرة وتنفذ لهم الكسوة والمؤونة وما يتبقى عندهم منها كانوا يبيعونه ويتمتعون بثمنه [2].

---

[1]. Henry de Castries: op. cit. p p 25.30.32

[2].جعفر بن أحمد الناصر: سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية،خمسة أجزاء، تح: أحمد بن جعفر ناصر، أكاديمية المملكة المغربية سلسلة تاريخ المغرب، د.ع.ط، د.م.ط، 2006م، ج3، ص 44.

ثانيا : علاقات المولى إسماعيل الدبلوماسية مع فرنسا وإسبانيا (مسألة الأسرى)

تمهيد:

إن الجهود التي بذلها المولى إسماعيل في البحث عن حلفاء أوروبيين و توطيد علاقاته بهم بهدف الوصول إلى ما أحرزته هذه الدول من تطور ونهضة في شتى الميادين حيث أمكنها من التفوق على الدول الإسلامية في عدة مجالات كالطب وصناعة الأسلحة وغيرها[1]، أسفرت على نشوء علاقات دبلوماسية بين كل من المغرب واسبانيا وفرنسا خاصة، تمثلت في العلاقات السفارية بينهما والمعاهدات التي كان جلها يدور حول مسألة الأسرى التي سنركز عليها في هذا الجزء بصفة خاصة لأنها كانت تشكل النقطة الفاصلة في تأرجح هذه العلاقات بين السلم والحرب وتحديد طبيعتها.

1. العلاقات الديبلوماسية بين "المولى إسماعيل "و "لويس الرابع عشر[2]" ملك فرنسا:

منذ عام 1672 وهو تاريخ توليه السلطان المولى اسماعيل على العرش، ولأكثر من عشرين عامًا من الحكم ، كانت فرنسا الدولة الوحيدة التي لم يتمكن مولاي إسماعيل من التوصل إلى اتفاق دبلوماسي يحدد العلاقات بين البلدين. ومع ذلك ، كان هناك الكثير من المحاولات والفرص على كلا الجانبين. وفي مارس 1692 ، أرسل القنصل الفرنسي في سلا "جان إستيل" إلى لويس الرابع عشر رسالة من السلطان طلب فيها الأخير إيفاد سفير عاجلًا ، كانت العلاقات بين البلدين في حالة يرثى لها، على الرغم من الخلافات المتعلقة بمسألة الأسرى [3] .

---

[1] .أحمد الأزمي: العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان المولى إسماعيل، منشورات ما بعد الحداثة، د.ع.ط، د.م.ط،2007م، ص 05.

[2] . صاحب مقولة "أنا الدولة والدولة أنا"، ولد في "شاطو دو سان" خلف والده على العرش منذ 1642م اشتهر بمحاربته لطبقة النبلاء والتضييق عليهم، كما قاد العديد من الحروب خارجيا على إسبانيا. ينظر: حيدر جاسم محمد،لويس الرابع عشر، د.د.ن، د.ع.ط، د.م. ط ، د.ت.ط، ص ص39.3

[3]. Abdeslem Kninah: Image(s) francaise(s) du Maroc avant le Protectorat (XVIIe-XXe siecles), Dans une note de doctorat, Universite d'Avignon, Francais 2015_2016, p 70

يمكننا التعبير عن هذه العلاقة بثلاثة مراحل ارتبطت كل واحدة منها بالظروف التي كانت سائدة بين البلدين بفعل نشاط القرصنة البحرية وما ينتج عنها من أسر. نفصل في هذه المراحل كالتالي:

أ. مرحلة التقارب و التفاهم 1672-1680:

بدأت هذه المرحلة منذ اعتلاء المولى إسماعيل للعرش حيث بعث له لويس الرابع عشر تهنئة بذلك، وذَّكره بما تميزت به علاقة البلدين من الود والتفاهم مع أسلافه من الملوك، وشدد توصيته بالتذاكر في اقتراح مبادلاتهم بشأن الأسرى التي بعث بها مع سفيره" صمويل"، فاستجاب له المولى إسماعيل بأن منح جوازات سفر لرهبان المرسيدير التي حلت بالمغرب في 1674و التي كان فدائها لعدد قليل من الأسرى لم يكن مرضياً لملك فرنسا [1] .

ومن جهة أخرى لما علم المولى إسماعيل بما كان يقاسيه أسرى المسلمين بالدول الأوروبية كان يسعى جاهدا في مراسلة ملوكها لفدائهم بتكليف مجموعة من الأشخاص الموثوقة من قواده أمثال القائد "أحمد ابن حدو"[2] لمراسلة قناصلها ونوابها في شأن الافتداء، كما كان يشدد على مبدأه في المبادلة بينهم وبين أسرى المسيحيين رأسا برأس كواجب ديني و أخلاقي. ونظراً لعدم تساوي عدد الأسرى بين البلدين حيث كان عدد الأسرى الفرنسيين أكثر في المغرب لم يكن هذا المبدأ مرضيا لفرنسا خاصة وأنها كانت لا تقبل أي مفاوضة في شأن أسرى المسلمين لأنها كانت تستغلهم في تجديف سفنها التجارية والقرصانية و فقدُهم يسبب تعطيل لها و خسارة كبيرة لا تستطيع فرنسا تعويضها [3].

---

(1) .أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 10.

(2) . المتوفى سنة 1679 والذي نسبت له الزنقة المعروفة بزنقة (القائد أحمد الريفي) ، ولاه السلطان المولى إسماعيل العلوي على تطوان سنة 1673 فكانت ولايته نهاية لحكم أسرة النقسيس المعاصرة للدولة السعدية. وبداية لعمال الدولة العلوية الشريفة التي كانت تطوان من المدن المغربية الأولى مبادرة بتقديم الولاء للدولة القائمة أدام الله عزها ومجدها، وكانت ولاية القائد أحمد بن حدو الريفي فاتحة لمحاولات جهادية جديدة لتحرير مدينة سبتة والثغور الشمالية المحتلة. ينظر: وائل الريفي، أمجاد التاريخ في بلاد المغرب الأقصى، في موقع الأدارسة http://aladdarssah.com ،تاريخ الإبحار 07-04-2014، على 11:21.

(3). جعفر بن أحمد الناصر: المرجع السابق، ج3، ص 51.

حيث أكدت المصادر أن مدة أسر الفرنسيين في المغرب كانت طويلة وترجع هذه الزيادة في مدة الأسر بشكل أساسي إلى موقف المولى إسماعيل الذي كان إطلاق سراح الأسرى المسلمين أحد الاهتمامات الرئيسية بالنسبة له .اعترافا منه بشكل عام بأسلوب واحد فقط للتحرير وهو تبادل رعاياه المدانين المحتجزين في مرسيليا ، ضد الأسرى الفرنسيين، وهوموقف لا يتوافق تمامًا مع نوايا الحكومة الفرنسية ، التي كانت مستعدة تمامًا للتخلص من المعاقين ، والتركيز على إبقاء المجدفين دو الصحة الجيدة فقط[1].حيث كانت السفينة الواحدة تضم 300 مجدف ،يعيشون لمدة شهرين إلى ثلاثة أشهر ،وهم مكدسين في مساحة لا تتعدى 50 م في الطول و 13 م في العرض، وفي مترين في العمق، وحيث نجد 25 مجدفا في اليسار ومثلهم في اليمين، في مقعد طولي لا يتجاوز المترين والنصف، عليه خمسة مجدفين مقيدين يقومون بتحريك مجداف طوله 12 مترا ووزنه 130 كغ، كما يشير السجل الخاص بالأسرى المشتغلين بالتجديف أن 44 % من هؤلاء يموتون بالمعاملات القاسية، و البؤس والأمراض، كما أن 71 % منهم يموتون في السنوات الثلاثة الأولى، خاصة وأن الظروف الصعبة المختلفة بين بلدهم الأصلية والوسط الجديد مختلف تماما[2].

وبعد حالة من سوء التفاهم بين البلدين والتي تميزت باستفحال أمر القرصنة وعملية الأسر، توصل مبعوث فرنسا القبطان "دولابار" إلى عقد هدنة مع القائد "عمر حدو" في 01 ماي 1681، وبعدها وقعت اتفاقية المعمورة التي تضمنت 16 بنداً أحدها ينص على تبادل الاسرى رأسا برأس والذي كان مضرا بالجانب الفرنسي الأمر الذي أغضب لويس لرابع عشر بعد اطلاعه على هذه البنود، ولم يعترف بهذه الاتفاقية حيث أمر قائد الأسطول "شاطو رونو" بأن يوصل بخبر عدم مصادقته على هذه الاتفاقية إلى المغاربة، وبأن يواصل الحرب ضد السفن السلاوية ومحاصرة نشاطها. ومن جهة أخرى قام المولى إسماعيل ببعث رسالتين، الأولى يتحرى فيها عن اتفاقية المعمورة فيما إذا كان لويس الرابع عشر هو فعلا صاحب الخطاب المبعوث مع القبطان دولابار (لأن مبعوث الملك

---

(1). Leila Maziane: les captifs europiens en terre marocaine,au 17/18éme siecles,in cahiers de la mediterranée,n 65,2002,p9.

(2). بن قايد عمر: علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا) ن 1069 هـ 1139 - هـ1727-1659/م، في مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، جامعة غرداية ،الجزائر، 2011_2010م، ص 119.

عادة ما يكون سفير لا قبطان)، والرسالة الثانية دينية يطلب منه فيها الدخول للإسلام حيث ذكره برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم على اعتبار أن لويس الرابع عشر من نسله[1]. ونلاحظ هنا مدى قوة إيمان المولى إسماعيل وتطبيقه للدعوة في سبيل الله رغم أن العلاقة بينه وبين ملك فرنسا كانت سياسية ودبلوماسية محضة.

وفي إطار مساعي مولاي إسماعيل لضمان تفاهم ودي مع البلاط الفرنسي ، أكد في رسالته للويس الرابع عشر إفراجه عن الأسرى الفرنسيين ،وأخبره بأنه عهد إلى القائد "ابن حدو " بمواصلة المفاوضات مع الضابط الفرنسي المعني بهذا الغرض، وأنه إضافة إلى ذلك ومن أجل الوصول إلى النوايا الحقيقية لملك فرنسا سيقوم بإرسال سفيره " الحاج محمد التميم"إلى البلاط الفرنسي[2].

1.سفارة الحاج محمد تميم:

وهي أول بعثة مغربية إلى فرنسا ،تتألف من سبعة أشخاص منهم قادة و شخصيات تقاة وبارزين في البلاط الإسماعيلي، ضمت هذه السفارة كل من الحاج محمد تميم كقائد للبعثة، والحاج إبراهيم معنينو[3] كمعاون له، وشخصية ثالثة تدعى المراكشي ثم الحاج عبد القادر. وكان الهدف من هذه السفارة هو التفاوض حول شروط السلم بعدما رفض لويس الرابع عشر التوقيع على معاهدة المعمورة "المهدية" المؤرخة في27جمادى الثانية 1092هـ13 جويلية 1681م، هذه المعاهدة كان من ضمن بنودها مسألة القرصنة وتبادل الأسرى، وإقرار التبادل التجاري وحماية الأسطول التجاري الفرنسي[4].

---

(1).أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص ص 16 .14.

(2) . عبد الهادي تازي: تاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم_ عهد العلويين_، عشر مجلدات، 1988،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، د.ع.ط، مصر،1988م، المجلد 09 ،ص 71.

(3) .من كبا تجار المغرب في المنسوجات وغيرها كان له أسطول تجاري يتألف من 14 قطعة بحرية ،خلف ثروة طائلة، وقد رافق الحاج محد التميمي في سفارته إلى فرنسا عام1682.ينظر: محمد بن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، تح: مصطفى بوشعراء، الخزانة العلمية الصبيحية، ط2، سلا، المغرب، 1996، ص235.

(4) . بن قايد عمر: المرجع السابق، ص72.

أبرمت نتيجة هذه السفارة اتفاقية بين الطرفين في "سان جرمان أن لي" San Germaine" يوم 29 جانفي1682 ، وقعها على الجانب المغربي الحاج محمد تميم وعلى الجانب الأخر "دوسينييلاي" ودوكرواسي". بعث بعدها لويس الرابع عشر إلى المولى إسماعيل برسالة يهنئه فيها على ما توصلوا له من حالة الهدنة ويخبره أنه سيبعث بسفيره "دو سانت أمان" ليؤكد له على بنود اتفاقية سان جرمان، كما رَد عليه المولى إسماعيل بالشكر والثناء على حسن استقبال السفير محمد الحاج تميم رغم ما تعرض له هذا السفير من تجاهل وجفاء[1].

نصت هذه المعاهدة على عشرين بنداً نذكر منها ما يَخُص مسألة الأسرى كالتالي:

- أن يتم الإفراج على كل الفرنسيين الذين يقعون في الأسر عند أعداء فرنسيا دون أن يتعرضوا للاسترقاق، سواء تونس أو الجزائر أو طرابلس وذلك بأن يعمل سلطان المغرب على تسهيل عملية افتدائهم بواسطة قنصل فرنسا بأحسن ثمن ممكن، ونفس الشيء يطبق على رعايا لمغرب في فرنسا.
- فدية كل الأسرى الفرنسيين في المغرب بقيمة 300ليرة لكل واحد لا أكثر ولا أقل، و نفس الشيء بالنسبة لأسرى المغرب.
- إذا حدث وأن تعرضت كل من السفن الفرنسية والمغربية في البحر الأبيض المتوسط يجب الدفاع المتبادل عنها حتى ولو كان هذا العداء من الموانئ التونسية أو الجزائرية[2].

وغيرها من البنود التي تميزت جلها بخدمة مصالح فرنسا بشكل كبير مقارنة بالمغرب، حيث أن المتأمل فيها يلاحظ أن تطبيقها يجعل من المغرب بمثابة دركي لفرنسا في الجهة الجنوبية الغربية من البحر الأبيض المتوسط، وأن مسألة الأسرى ستحل حسب هذه البنود عن طريق الافتداء بدل التبادل الذي نصت عليه اتفاقية المعمورة سالفت الذكر، وهذا ليس في صالح المغرب أبدا حيث يضمن هذا البند

[1]. عبد الهادي تازي: المرجع السابق، ص 71.

[2]. أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص20.

تحرير الرعايا الفرنسيين من السجون المغربية و الاحتفاظ بالأسرى المغاربة المجذفين في سفن فرنسا لأن أسرهم وملكهم لن يتمكنوا من دفع تلك المبالغ لافتدائهم [1].

إلى هنا تنتهي المرحلة الأولى التي اتسمت بالتفاهم و التقارب والتعاون على تجاوز الخلافات بين البلدين، ظهرت في شكل اتفاقية "سان جرمان " والتي ستعرض على المولى إسماعيل فيما بعد. وتبدأ بعدها مرحلة ثانية أخرى سادَ فيها الصراع رغم تعدد السِفارات.

ب. مرحلة الصراعات رغم تبادل السِفارات:

عرفت العلاقة الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا في هذه المرحلة جملة من التطورات التي حددت مصيرها، كما تضمنت ثلاثة سفارات رئيسية بدأً من سِفارة "دو سان أمان" إلى المغرب والتي كانت تهدف إلى الحصول على موافقة المولى إسماعيل على اتفاقية سان جرمان، وسفارة "دو سان أولون" وأخيرا سفارة عبد الله ابن عائشة إلى فرنسا. كما سيتم تلخيص أهَم ما جاء فيها كالتالي.

1.سفارة سان أمان saint amans إلى المغرب 11 ديسمبر 1682 :

إن لفهم ما سينتج عن هذه السفارة من صعوبات لابد لنا من الإشارة أولاً إلى التعليمات التي صدرت من ملك فرنسا إلى هذا السفير قبل سفره إلى المغرب، وأهمها أن يستعمل هذا السفير كل مهاراته في مراوغة المولى إسماعيل في قضية تحرير أسرى المغاربة الذين تستعملهم فرنسا في التجديف وإن لم يجد جواب لذلك، يتحجج بأنه لم يرخص له التفاوض في هذا الشأن. ومن بين التعليمات أيضا ألّا يسمح لأي أسير بالتخلي على المسيحية واعتناق الإسلام ولا يضغط عليه بهذا الشأن ،قابل السفير الفرنسي المولى إسماعيل و اكتفى هذا الأخير بالترحيب به مكلفا وزراءه بالتفاوض مع" دو سانت أمان" حول بنود المعاهدة، حيث جاء كل من الطرفين بتعديلات كثيرة في معظم تلك البنود وخاصة ما يحص الأسرى منها حيث كان المغاربة وكأنهم يتنكرون من معاهدة "سان جرمان" بصفة نهائية تماما مثلما تنكرت فرنسا من معاهدة المعمورة[2].

---

[1] .احمد الأزمي: المرجع السابق، ص 23.

[2].نفسه، ص37 .

وبعد أخذ ورد لم يتوصل الطرفان إلى نتيجة تذكر ولم يتم المصادقة من طرف المولى إسماعيل على المعاهدة الذي كان يشدد على موقفه في مسألة تبادل الأسرى رأسا برأس، ورغم جِدته في الموضوع إلا أنه بعث بعشرين أسير فرنسي كهدية لملك فرنسا تعبيرا على نُبل المغاربة وعلى الرغبة في المحافظة على حالة السلم بين الطرفين[1] .

ومنه كانت محاولات فرنسا فاشلة من هذه السفارة ،صرح هذا السفير سبب فشلها في عناد السلطان والمغاربة قائلا" لم أرى أصعب مراسا ومراوغة من المور (أي المغاربة)". اشتد العداء من قبل فرنسا بعد فشل هذه السفارة وأصدر لويس الرابع عشر قوانين صارمة في 1687 ضد الأسطول السلاوي في الوقت الذي كانت فيه المغرب تتجهز بصناعة سفن حربية بعناية السلطان نفسه بهدف استمرار نشاط القرصنة، ففي سنة1692 عمل المولى إسماعيل على تجهيز ستة فركاطات[2]، في كل واحدة منها ثمانية عشر مدفعا. وفي السنة الموالية عادت فرنسا بسفاراتها إلى السلطان بشأن الصلح بعدما انشغلت في حروبها مع أوروبا، حيث بعث لويس الرابع عشر بالسفير "دو سان اولون" لترضية المولى إسماعيل وتذكيره بالمعاهدة سان جرمان 1682[3] .

2.معاهدة دو سان أولون pidou de Saint Olon 12 ماي1693:

وصل هذا السفير في 12ماي 1693 وخلال مناقشة بنود ومطالب الطرفين في المعاهدة بين السفير و القائد "أحمد بن حدو" المكلف بالتفاوض من قبل السلطان اتفقا حول جميع البنود باستثناء البند الخامس الذي ينص على طلب الملك الفرنسي للتحالف مع المغارب ضد الجزائر على اعتبار أن

---

[1] .أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص45.

[2] .سفينة مدرعة مسلحة خفيفة الحركة من عائلة السفن المجذافية واحدتها فرقاطة، استعملت في أساطيل البحر الأبيض المتوسط منذ العصور الوسطى. طويلة ومقدمتها دقيقة انسيابية الشكل، قليلة العرض يبلغ طولها نو 50م، وعرضها 8م، وعمقها2م، وأن أول ما استعملت الفرقاطة في البحر المتوسط كان في فترة القرن(9ه/15 م)موهي ذات ثلاثة صوار وتحمل بين 40و60مدفعا. ولولتها بين 400و500طن، وأن عدد المجاذيف بها يبلغ اثني عشر مجذافا على كل جانب من جانبيها وتحمل شراعا واحدا وهي سريعة جدا. ينظر: حليم سرحان، السفن الحربية في الجزائر خلال العهد العثماني دراسة مستمدة من النصوص التاريخية والوثائق، في المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة بوضياف المسيلة، ع 05،ديسمبر2017، ص 85.

[3] . جعفر بن أحمد ناصر: المرجع السابق، ج5، ص 156.158.

الإسلام يحرم ذلك، ولذلك لن يوافق المولى إسماعيل على حماية السفن الفرنسية ضد مجاهدي البحر الجزائريين، والبند والسابع الذي يتعلق بالأسرى حيث يستحيل قبول الافتداء بالمال والمبادلة العامة كقاعدة أساسية لحل مسألة الأسرى[1].

بدأت هذه السفارة تخفق من بدايتها رغم المماطلة في الأخذ والرد بين السفير والسلطان حتى أنها وصلت إلى معركة كلامية كما يصفها الدكتور" أحمد الأزمي"، ويرجع السبب الأهم في فشلها حسب رأي هذا الأخير إلى رفض فرنسا التحالف مع المولى إسماعيل ضد الإسبان التي كانت العدو المشترك بينهم لأن ذلك يمَكنه من تحرير سبتة، بحجة أن فرنسا غنية عن أن تحالف إن هي أرادت مَحق الإسبان[2].

ويُرجع " هنري دوكاستري" فشل هذه السفارة إلى مسألة الهدايا التي كانت الشغل الشاغل للسفارات حيث أن من أحد الأسباب التي أدت إلى خيبة سفارة سان أولون هو أن هذا الأخير لم يُقدم أشياءً أشار إليها السلطان لابن القنصل " إستيل" كهدايا، ويُضيف أن المولى إسماعيل كان جشعا في جمع الكنوز والمال وأن افتقاره لحسن النية في هذه المفاوضات جعلها لا تجدي ينفعا معه[3].

ومن هنا توقفت المفاوضات لمدة سبع سنوات (من 1698 1693) ساد فيها العداء بين البلدين والمواجهات العسكرية بين السفن البحرية التي أثرت على التبادل التجاري بين الطرفين، الأمر الذي جعل الحلول الدبلوماسية هي الأمل الوحيد في إقرار السلم والتفاوض فكانت سفارة الأميرال عبد الله بن عائشة [4] إلى فرنسا محاولة لإعادة انتعاش العلاقات من جديد.

---

[1]. أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 58 .

[2]. نفسه، ص ص58.60.

[3] . Henery de Castries: op.cit, p 41

[4]. أندلسي الأصل ولد ونشأ في الرباط ،كان قائد الأساطيل الجهادية بسلا من 1691إلى 1698، ثم عامل العدوتين، ترأس عدة سفارات للسلطان المولى إسماعيل، ينظر: عبد الرحمان بن زيدان، العلائق السياسية للدولة العلوية ، تح: عبد اللطيف شاذلي، المطبعة الملكية، د.ع.ط، الرباط،1450هـ1999،ص 49.

3.سفارة عبد الله بن عائشة إلى فرنسا 1699/1698:

تقررت هذه السفارة من المولى إسماعيل بعدما تم الاتفاق بين عبد الله بن عائشة و قائد الأسطول الفرنسي "دوشاطو رونو" في 06 سبتمبر 1698 على عقد هدنة مدة ثمانية أشهر بين المغرب وفرنسا إلى أن يتم عقد الصلح[1] .كان على رأس هذه السِفارة قائد الثغور والأسطول المغربي "عبد الله بن عائشة "، ثم محمد سوسان، برفقة خمسة عشرة خادما ومرافقا، ومحمد التاغري ،وفي بعض المراجع محمد التوزيري، وشخص فرنسي يدعى فابر Fabre" "وهو تاجر من مقاطعة بروفنسال كمترجم في الرحلة[2].

وبعد استقبال فرنسا لهذا الوفد السفاري، شكل لويس الرابع عشر لجنة لدراسة مسألة الأسرى وما يتعلق بها من إقرار السِلم والصلح مع السفير المغربي، فاجتمعت عدَّة مرات وطالت مدة التفاوض بين الطرفين لكنها لم تخرج بنتيجة صلح ذلك أن عبد الله بن عائشة بقي متشبثاً برأي السلطان في مسألة تبادل الأسرى وما زاد على ذلك يعوض بقدر من المال، في حين كان الرأي الأخر أن يفتدى الأسرى بالمال، زيادة على أنهم اقترحوا عليه أن يسلموا له الضعاف والشيوخ من أسرى المسلمين مقابل أسير فرنسي شاب واحد، محاولة منهم في التخلص من هذه الفئة التي لا تقدم منفعة لفرنسا والمحافظة على الشباب لخدمة مصالحها، حيث أن فطنة وذكاء "عبد الله بن عائشة" لم تسمح له بقبول هذا العرض أيضا، واحتج لهم بأن إسبانيا عوضت أسراها بأربعة مسلمين مقابل أسير واحد زيادة على أن السلطان المولى إسماعيل لا يقبل الدراهم في النصارى[3].

وبعد تهديد عبد الله بن عائشة لهم بالانسحاب تدارك القادة الفرنسيون الأمر وغيروا الطاقم المفاوض وقدموا مشروعا جديدا يتكون من ثلاثين بند، وتم رفض البند الذي تعلق بالأسرى فيه من طرف بن عائشة مرة أخرى وبقية المفاوضات مغلفة بسبب عدم تمكن هذا الأخير من افتداء أسراه في حين

---

[1] . جعفر بن أحمد ناصر: المرجع السابق، ج3، ص120.

[2] .بن قايد عمر: المرجع السابق، ص 79.

[3].جعفر بن أحمد ناصر: المرجع نفسه، ج3، ص ص132.131.

سيتمكن الفرنسيون من شراء أسراهم بثمن زهيد[1].ولم يمنع فشل هذه السفارة من تبادل الطرفين للهدايا فقد ذكر الدكتور عبد الهادي التازي أن بعضها مازالت موجودة لحد الساعة بقصر الدار البيضاء في مكناس[2].

- **رسالة ابن عائشة للأسرى المسلمين:**

قبل أن يتقرر رجوع هذا السفير إلى المغرب، كتب إلى أسرى المغرب الموجودين بمرسيليا رسالة يخبرهم فيها بفشل المهمة ويصبرهم ويعدهم بأنه سيرفع الأمر بشأنهم إلى السلطان المولى إسماعيل الذي لا يترك جهدا في استعمال كل الوسائل المؤدية لخلاصهم، وأكد عليهم أن يكتبوا أجوبة له ويبعثوا بها مع المترجم "فابر" الذي كان برفقته، أو مع أي قادم إلى المغرب من فرنسا، وشدد على ذلك[3].

وانتهت بذلك هذه السفارة بدون نتائج حاسمة تذكر، وعادت أسباب التصادم بين الدولتين، كما كانت عليه العلاقة بينهما من قبل، حيث هيمنت مشكلة تحرير الأسرى على تاريخ العلاقات بين المغرب الإسماعيلية وفرنسا لويس الرابع عشر وحتى في وقت لاحق وهذا ما يفسر سبب احتلالها لمكانة الاختيار في المراسلات الوفيرة المتبادلة بين وزير الدولة لشؤون الدولة البحرية وعملائه القنصليين في سلا وتطوان، بل سيكون من المستحيل التوصل إلى اتفاق حول هذه النقطة التي ستمنع إقامة علاقات طبيعية بين البلدين حتى عام 1727[4].

ج. مرحلة جمود العلاقات الدبلوماسية المُفضية إلى القطيعة:1727_1700:

دخل البلدان على إثر المستوى الذي وصلت له العلاقة الدبلوماسية وفشل السفارات مرحلة من الجمود دامت سبعة وعشرون سنة تميزت بالتوتر المستمر، بالإضافة إلى انشغال كلا الطرفين بمشاكل سياسية داخلية و سوء التفاهم الذي حصل بين التجار الفرنسيين بالمغرب و رعايا المولى إسماعيل

---

[1].بن قايد عمر: المرجع السابق، ص76.

[2].عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 51.

[3] .جعفر بن أحمد ناصر: المرجع نفسه، ص145.

[4] .Leila Maziane: op.cit, p09

الذي كان سبب في قطع العلاقات الشاملة بين البلدين. أما مسألة الأسرى التي لطالما كانت المؤشر القوي في التحكم في طبيعة لعلاقة بين البلدين فقد غيرت فرنسا طريقتها في الحصول على أسراها باعتمادها على الهيئات الدينية مثل جماعة "المرسيدير" ورهبان "لاميرسي" وغيرهم وبدأ نشاط هذه الأخيرة وترددها على المغرب في شأن الأسرى حيث لاقت قبول وترحاب المولى إسماعيل و حدَث أن تم التبادل بينهم[1].

2: علاقة المولى إسماعيل الدبلوماسية مع "كارلوس الثاني"[2] ملك إسبانيا (مسألة الأسرى)

كانت للمولى إسماعيل علاقات ودية كثيرة مع ملوك أوروبا رغم مواجهته لبعضها وانتزاعه لمدينة العرائش والمهدية منها ومن بينهم إسبانيا التي كاتبه ملكها كارلوس الثاني في شأن فداء أسرى العرائش في شكل سفارة "منويل بردلون" إلى المغرب ، فأجابه المولى إسماعيل عن طريق مبعوثه

" بن عبد الوهاب الغساني"[3] صاحب كتاب " رحلة الوزير في افتكاك الأسير" في إطار رحلة سفارية إلى إسبانيا من أجل استرجاع ما فيها من أسرى وكتب إسلامية الباقية هناك من التراث الإسلامي[4].

أ_ سفارة الوزير عبد الوهاب الغساني إلى إسبانيا 1691_1690:

وهي رحلة دبلوماسية مميزة ولها أهمية بالغة في تاريخ العلاقات المغربية الإسبانية، انطلقت في 19أكتوبر 1960قام بها وزير المولى إسماعيل بطلب من هذا الأخير، لتحقيق مهمتان الأولى تحرير واسترجاع مكتبة من المخطوطات المغربية تقدر بخمسة ألاف مخطوط، والثانية إطلاق سراح خمسمائة

---

(1).أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص ص 105.97.

(2). و يسمى أيضا كارلوس الهشيزادو ،من مواليد 2 نوفمبر 1221 ، مدريد ، إسبانيا – توفي في 1 نوفمبر 1700 ، مدريد ، حكم إسبانيا من 1665 إلى 1700 وآخر ملوك سلالة هابسبورغ الإسبانية. ينظر الموسوعة البريطانية، https://www.britannica.com، تاريخ الإبحار 24/5/2021، على 11:30

(3) . أندلسي الأصل استقر بمراكش، كان يعمل كاتبا ببلاط الشرفاء العلويين بمكناس في عهد المولى إسماعيل الشريف، اكتسب الشهرة كخبير بأسماء الكتب وخطاط وناثر فني. ينظر: محمد الغساني الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1691 -169، دار السويدي ،ط1، د.م.ط، 2002م، ص155.

(4). عبد الرحمان ابن زيدان : العلائق السياسية للدولة العلوية، تح: عبد لطيف شاذلي، المطبعة الملكية، د.ع.ط، الرباط، 1420هـ-1999هـ، ص 48.

أسير مسلم أُسروا في فترة الحروب بين المغرب وإسبانيا و اضطهادات الأندلسيين المعروفين "بالمورسكيين"[1] بعد سقوط غرناطة[2] .

بيَّن هذا الوزير في كتاب رحلته ما كان للمغرب من عظمة ومجد وما كان للمولى إسماعيل من دهاء وحزم ، وفضل عميم وسعي مشكور في افتكاك ما بقي من أسرى المسلمين بإسبانيا [3] ، كما أشار إلى أن ديوان الإسبان بعد تفاوضهم وتذاكرهم برسالة السلام وطلبه امتثلوا لطاعته وبدوءا بجمع الأسرى، أما عن شأن المخطوطات فقد زعموا أنها تعرضت للحرق في حادثة بإسبانيا، لكن المولى إسماعيل كتب ضمن رسالته أن تعوض المخطوطات بألف أسير في حال تعرضت لتلف[4] ،

لكن العجيب في الأمر أن الخبر عن رجوع الأسرى المسلمين إلى المغرب لم تذكر في هذه الرحلة وبقي الأمر غامضا!

خاتمة الفصل:

وفي مجمل القول نستنتج:

_ أن السلطان إسماعيل العلوي شخصية قوية في تاريخ المغرب الأقصى عرفت بالشجاعة والشدة و الصرامة ما يستحق الذكر و يتباها به المغاربة، أما ما ذُكر في وصف الأسرى وبعض المؤرخين المسيحيين له، مجرد تلفيق ونسج من خيال مظلل، له اهداف خفية يريد أن يصل بها أصحابها إلى أغراض شخصية وغير موضوعية حسب ما أكده بعض المؤرخين المغاربة وبعض الأوروبيين المنصفين أمثال المؤرخ الفرنسي "شارل بنز" و"هنري دوكاستري" .

---

[1] . هي كلمة إسبانية moriscos اختلف المؤرخون في معناها فمنهم من يرى أن ها تعني "صغار المسلمين " أطلقت كتسمية للمسلمين الباقين في غرناطة بعد سقوطها تحت هيمنت الإسبان، ومنهم من يرى أنها تعني البشر شديدو السمرة، والمتفق عليه انها تخص المسلمين المضطهدين الذين تعرضوا لمحن السلطة الإسبانية المتعصبة بعد سقوط غرناطة. ينظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين1492م_1610هـ، دار هومة، د.ع.د، بوزريعة الجزائر،2004، ص ص 42.43

[2] . محمد الغساني الأندلسي : المصدر نفسه، ص12.

[3] .نفسه، ص 151.

[4] .عبد الوهاب الغساني الأندلسي: المصدر السابق، ص84.

_ أن المولى إسماعيل شخصية إسلامية لطالما مارست الدعوة لله و تشبثت بتعاليمه السمحاء، ويظهر ذلك جليا في رسائله الدعوية إلى ملك فرنسا وخطاباته مع آباء الافتداء في بلاطه، أما ما ورد عنه من قسوة و طغيان ، الواضح أنه مبالغ فيه بشدة وفيه بعض المواقف التي لا يصدقها العقل.

_ أن علاقات المغرب مع فرنسا في عهد المولى إسماعيل انقسمت حسب الظروف السائدة في كل فترة إلى ثلاثة مراحل: مرحلة التفاهم والتقارب والتي سعى فيا الطرفان إلى تجديد العلاقة و تعزيزها بتبادل السفارات، ومرحلة الثانية التي ظهر فيها الصراع رغم كثرة تبادل السفارات بين البلدين، ثم مرحلة الجفاء والقطيعة والتي امتدت إلى حين وفاة السلطان 1700_1727 ، انشغل كل طرف فيها بشؤنه الداخلية، وكل هذه المراحل كانت مسألة الأسرى هي العامل المتحكم القوي في سيرورتها و تحديد نمط العلاقات بين التقارب والتنافر من خلالها.

_ إن مسألة افتداء الأسرى كانت من القضايا المهمة التي شغلت تفكير السلاطين والملوك كما كانت ورقة ضغط أيضا يستخدمها الطرفان في سير مصالحهم مع بعضهم، حيث لعبت دورا كبيرا في تحديد نمط العلاقات بين المغرب والدول الأوروبية.

_أن سبب تواجد الأسرى لفترات زمنية طويلة أمثال سيور جرمان مويط الذي مكث احدا عشر عاما في المغرب، يرجع إلى إضطراب العلاقات الدبلوماسية من جهة وموقف المولى إسماعيل المتشدد بشأن فداء الأسرى من جهة أخرى.

_أن المولى إسماعيل كان سلطانًا نبيلا يهمه كثيرا حال الأسرى المسلمين حيث كانت له جهود ومساعي لفدائهم بطرق ترضي الله وترضي كرامة أي إنسان مسلم حيث أنه لم يقبل فيهم مساومة بالنقود والأموال بل رأسا برأس، وشد على ذلك رغم محاولات فرنسا الكثيرة مع.

الفصل الثاني:

الأسرى المسيحيين في رحلة جرمان مويط

أولا: الأسير جرمان مويط

1.تعريفه

2.مذكراته "رحلة الأسر مويط" والهدف منها

ثنيا: محن ومعاناة الأسرى حسب الأسير الفرنسي" جرمان مويط"

1. المحن و الأشغال الشاقة

2. استيلاء السلطان على أسرى الخواص

3. اضطهاد القصر

4. كيفية علاج أسرى الخواص

5. طعام أسرى السلطان ولباسهم

6. طرق افتداء الأسرى المسيحيين بالمغرب

7 .قصص اجتماعية مثيرة للأسرى المسيحيين في المغرب

خاتمة الفصل

تمهيد:

بما أن الأسير جرمان مويط ركز ضمن رحلته على حال الأسرى المسيحيين وذكر كل التفاصيل المتعلقة بحياتهم ويومياتهم فقد ارتأيت أن أخصص لها فصلاً كاملا مع التعليق على ما جاء فيها من مبالغة وتلفيق، ولكن قبل أن نخوض في ذلك كان لزاما علينا أن نتطرق إلى التعريف بالأسير مويط وكيفية أسره أولا، و كل ما يخص رحلته.

أولا: الأسير جرمان مويط

1_التعريف به:

هو أسير فرنسي من مدينة باريس خرج منها في آخر يوم من شهر يوليوز من عام 1670م على متن سفينة تجارية ضخمة تدعى "الملكية" من ميناء دييب نحو أمريكا التي كانت مطمح الشباب في ذلك الوقت ، لاسيما أنها كانت فترة حرجة انتشرت فيها عمليات القرصنة و الجهاد البحري بين المسلمين و المسيحيين. وبعد مرور شهر ومع تغيير اتجاه الرياح نحو الجنوب الغربي من البحر الأبيض المتوسط حينها تعرضت لهذه السفينة سفينتين سلاويتين يحملان راية تركية[1]،دخل الطرفان في معركة كانت نتيجتها أسر "جرمان مويط" مع عدد من الأشخاص نقلو إلى مدينة سلا المغربية التي كانت تحت حكم المولى الرشيد العلوي آن ذاك، تعلم اللغتين الإسبانية والعربية ومكث في الأسر احدا عشر عاما تنقل خلالها بين مدن فاس وسلا ومكناس والقصر الكبير، خدم عند الخواص في البداية ثم أصبح من عبيد و خدم المولى الرشيد ثم المولى إسماعيل حتى منَّ عليه هذا الأخير بالإفراج عندما افتداه أحد الرهبان الفرنسيين [2] .

ألف كتابين في تاريخ المغرب الأقصى الأول عنونه " تاريخ مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل" والثاني "رحلة الاسير مويط" وتم طبع هذه الأخير في باريس سنة 1683 وتمت ترجمتها في 1990من طرف محمد حجي ومحمد الأخضر.

---

[1] .كذا في النص الفرنسي وهي تعني الرايات الإسلامية لأن الأوروبيين يسمون كل ما هو إسلامي تركيا، ينظر: جرمان مويط، المصدر السابق ،ص06.

[2] . نفسه، ص06.

2_الهدف من كتابته "رحلة الأسير مويط":

دون مويط مذكراته بعد أن رجع إلى باريس بسنتين نتيجة تأثره بسفارة الحاج محمد تميم لفرنسا سنة 1682م، فأراد أن يعرف قومه بالمغرب والمغاربة فكتب رحلته هذه في سنة 1683م بهدف أن يعطي صورة على المعيشة القاسية للأسرى المسيحيين في المغرب وبتالي استنهاض همم المسيحيين ليرحموا إخوانهم الأسرى ويعتبروا أن صرف صدقاتهم في افتدائهم لهو أحسن من غير ذلك [1].

ثانيا: محن ومعاناة الأسرى حسب "جرمان مويط" :

1_ الأشغال الشاقة:

أ. في مدينة فاس الجديد :

تعرض مويط ضمن حديثه عن حاله في مدينة فاس الجديد إلى الحديث عن المتاعب التي لقاها من أشغال البناء التي ذكر أنها " أتعب ما يمكن أن يُتصور " حيث أن طريقة تشييدهم مختلفة تماما عن أوروبا. ويتم ذلك بالتراب المقوى بالجير الذي يصعب حمله للأعلى خاصة وأنهم لا يستعملون المنصات والسلاليم إلا بكرة وحبل يحرق الأصابع، حتى أن الماء يتم حمله بالأيدي من مكان بعيد، ويذكر أن الأدهى من ذلك أن المراقبين على الأشغال يقومون برمي الأسرى بالحجارة حال ما توقفوا لثواني عن العمل ولو لتناول الخبز حيث يضطر الأسرى إلى استعمال يد في العمل والأخرى لأكل الخبز في آن واحد، ويستمر العمل يوماً كاملاً إلى الليل حيث يعودون إلى سجونهم بعد عملية عدهم مِراراً و تكراراً [2].

ويذكر أبو القاسم الزياني في كتابه "البستان الظريف " بأن كان للمولى إسماعيل من الأسرى المستعملين في أشغال البناء والقصور حوالي خمسة وعشرين ألف أسير، منهم النجارون والحدادون

---

[1] .جرمان مويط: المصدر السابق، ص12.

[2]. نفسه، ص 29.

والمهندسون والأطباء [1].حيث أسر من مدينة العرائش نحو ألف وسبعمائة [2] ،كان في إصطبله بمكناس اثنا عشر ألف فرس لكل فرس خادم من أسرى النصارى يتولى خدمته[3].

و في عام 1687 ،كان عدد العبيد الفرنسيين 400 أسير في مكناس، و بعد أربع سنوات ، شهد الأسرى الفرنسيون انخفاضًا كبيرًا حيث تم الإبلاغ عن 286 أسير فقط في قائمة العبيد [4].

ب.في مدينة مكناس:

بعدما أراد المولى إسماعيل تجديدها لأنها كانت تحتاج لذلك واتخاذها عاصمة لملكه ، ذكر مويط أنه كان مع جملة من الأسرى المسيحيين تحت سلطة رجل نعته بالأسود ضخم البنية شديد القسوة لا يمنحهم الوقت حتى لتناول الطعام حيث أن أوقاتهم كلها كانت تمضي في الأشغال الشاقة مثل هدم الأسوار القديمة بمعاول ذات اوزان ضخمة، وكل من تهاون فيها تضاعف له الضربات وخاصة في منطقة الرأس وإذا هشم رأس أحدهم كان يلصق عليه الجير الساخن لإيقاف الدم ويهم بمضاعفة الضرب له كعلاج رهيب ينسيه جروحه الأولى، و أشار إلى أن هذا الأسود زادت قسوته بعدما غاب الملك حوالي ثلاث سنوات في محاربة ابن أخيه أحمد، فقد بعث بحوالي عشرين رأس من الأسرى إلى القبر. وذات يوم جاء فيه المولى إسماعيل لافتتاح أسس الحريم تقدم إليه بعض الأسرى بجروحهم يستغيثونه من هذه المعاملة لكنه نظر إليهم جيدا ولم يفعل شيء، كما بعثوا للملك بعد عودته رسالة عن طريق بريد سريع مع المسيحيين المدربين بالمدفعية يشتكون فيها سوء المعاملة ولكنها كانت محاولة باطلة، بل ويذكر أنه هم بقطع رأس أسير إسباني يدعى "بارطولي تيو" كان قد عينه رئيس أعوان الإصطبل لأنه لم يناوله دلو ماء كان قد طلبه من أحد أصحابه ![5]

---

[1].أبو القاسم الزياني:البستان الضريف في مفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، المصدر السابق، ص171.

[2] .محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص71.

[3] . أبو العباس احمد بن خالد الناصري :المرجع لسابق، ص 55.

[4].Leila maziane: op.cit, p3.

[5].جرمان مويط: المصدر السابق ص 42.

2. استيلاء السلطان على أسرى الخواص:

في حديث مويط عن استيلاء الملك على أسرى الخواص، لما خرج المولى إسماعيل هو وعائلته إلى المكوث في أعالي جبال ملوية خوفا من عدوى الطاعون (الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا)، أخد معه جميع أسرى الخواص عندما سمع بقدوم الرهبان لافتدائهم ، استعملهم في خدمة خيامه وإصطبله ومدافعه وفي غالب الأحيان كرواد لتحطيم معاقل البربر التي كان ينوي اخذها[1].

وتشير "ليلى مزيان " أن مبادرة جمع الأسرى تحت رحمة السلطان، شيءٌ جيد مقارنة برطه بسيد واحد أو أكثر ، تحت رحمة جسده وروحه ، وكان عليه أكثر من مرة أن يعاني من وحشيته ،لهذا فإن لمَّ شمل جميع الأسرى في مكناس خلق مساحة لهم[2] .

ولشدته يذكر مويط أنه هم بإعدام حوالي أربعين مسيحي كانوا مكلفين بنصب الخيام بسبب أن خيمته العادية لم تنصب كالمعتاد لولا أن قادتهم جَثَو على قدميه يتوسلون له بالعفو إلا أنه تناول مطرقة تستعمل لغرز أوتاد الخيام وأصابهم بجروح بليغة بها. ثم بعث بهم جميعا إلى فاس تحت سلطة التجار اليهود الإسلاميين مدة سنة تفننوا في عذابهم خلالها [3].

لكن ما أشار إليه ابن زيدان في" الإتحاف " من عدل المولى إسماعيل ينفي ما جاء به مويط، حيث ذكر أنه كان للسلطان نحو الثلاثين ألف سجين من المغاربة أصحاب الجرائم العظيمة كالسراق والقتلة كلهم يستعملهم في بناء وتشييد القصور مع الأسرى ويبيتون في اليل في الدهاليز تحت الأرض ويتضح لنا هنا أن الأسرى لم تكن لهم معاملة قاسية خاصة أو عنصرية على أساس دينهم او غير ذلك مثلما حاول أن يبين مويط [4].

---

[1] .جرمان مويط: المصدر السابق، ص 42.

[2] . Leila Maziane: op.cit,p06

[3].جرمان مويط: المصدر نفسه، ص42.

[4]. عبد الرحمان ابن زيدان:إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، المرجع السابق، ص 170.

3.اضطهاد القصر:

وفي حديث مويط عن اضطهاد القصر، ذكر أن المولى إسماعيل لما اشتد انتشار الوباء، خشي أن يفقد الأسرى مع فدياتهم، فجمعهم على أن يطلق سراح من يدفع المال وأخذ منهم وعود بتسديد مبلغ قيمته بين مائتي و ثلاثمائة ريال .ثم بعث بهم إلى "عمرو حدو " خليفته في القصر في 1680م للقيام بمهمة استلام المال، لكن هذا الأخير لما علم بما حدث لم يقبل بهذا المبلغ وطالب كل واحد بقيمة ألف ريال ، وقيدهم بسلاسل غليظة زنتها بين ثمانية عشر وعشرين رطل، وأرسلهم للعمل في المجاري تحت الأرض، كما عانو من الجوع الشديد خلال هذه الفترة حيث كان يقدم لهم أربعة أواق من الخبز في اليوم لكل واحد، وعندما يشتكون جوعهم يضربون، كلف عليهم حراس جلادين لا ينقطعون عن ضربهم بعصي من عود شجر الرمان الثقيلة ولا مجال معهم للراحة و يذكرونهم كل حين بأنهم حال ما لم يدفعوا المبلغ المطلوب سينتهي بهم الحال هكذا بعبارة: " يا بني الكلب كلو الحجر أن ما نعطيكم شيء الخبز حتى أنتم تعطوني ألف ريال". وبعد الانتهاء من العمل في المجاري كلفوا بتنظيف كنف المدن وحمل الأقذار في سلال على رؤوسهم العارية حيث ذكر ان كل تلك الأقذار تقريبا كانت تسيل عليهم من خلالها، وعندما يحين الليل ينزلونهم إلى مطامير عميقة بسلم من الحبال ينالون فيها جميع انواع الضيق والانزعاج وهم مسلسلين حتى أن تلك السلاسل نالت من لحومهم[1].

كما اشتغلوا في حفر الخنادق في بادية من الرمال الحامية، يذكر مويط أنهم كانوا فيها يعانون الجوع خلال ثمانية ساعات في العمل، وينامون على الأرض مقيدين الأيدي ولأرجل بالإضافة إلى سلسلة طويلة تربطهم جميعا ببعضهم من العنق، حتى يكاد الدم ينفذ من عروقهم وجلودهم تلصق بعظامهم، لم يتخلصوا من هذا العذاب إلى حين بعث المولى إسماعيل يستخبر عن مبلغ الفديات وفوجِئ بالوضع الكارثي الذي وجد فيه للأسرى حيث أنه لم يكن يعلم بهذا، وقام بتوبيخ قائدهم

[1] .جرمان مويط: المصدر السابق، ص ص 46.45.

عمرو حدو وأخبرهم أنهم لن يعودوا لخدمته وسيصبر عليهم إلى حين تمكنهم من الحصول على المبلغ ليكونوا أحرارا [1].

وضمن حديث مويط عن محن الأسرى أيضا، ذكر كيف أنهم لم يكن لهم أيام راحة ما عدى سبعة أيام من السنة تمثل أيام الأعياد الاسلامية الثلاثة و الأربعة المسيحية التي كانوا يطلبونها من سادتهم، غير ذلك فهم يشتغلون باستمرار على مر الفصول إلا إذا حل مرض خطير جدا أو اشتد نزول المطر الذي يجعل التراب طين لزج لا يمكن تحريكه، و مع هذا لا يسمح للأسرى بالراحة فيشغلونهم في تنظيف الأزقة ظناً من سادتهم أنه كلما تعب الأسرى لا يستطيعون التفكير في الفرار وهي ظاهرة كانت شائعة أن ذاك بين الأسرى [2].

والملاحظ هنا أن هناك تناقض في الحديث ، حيث أن الأسرى المسيحيين لم يكونوا مضطهدين من حقوقهم ، والدليل على ذلك منحهم حق الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم، ومنه فإن المسلمين لم يتعصبوا لدينهم ولم يمنعوهم من ممارسة شعائرهم بل كانت لهم الحرية التامة والراحلة من العمل في أعيادهم ومناسباتهم كلها، ولم يفرضوا على الأسرى الدخول في الإسلام بهذا الشكل الفظيع الذي وصفها مويط في مرحلة المولى الرشيد، كما سأتطرق لهذا كالتالي، بهدف إيصال الفكرة وإن لم تكن تهم الفترة المعينة في هذه الدراسة.

إرغام الأسرى على اعتناق الإسلام:

يصف مويط في هذه الجزئية "المولى الرشيد" بصورة بشعة شوه بها صورة الإنسان المسلم حيث نعته "بالعدو اللدود للسيحية "،وذلك ضمن حديثه عن رحلة الملك إلى سلا في شهر رمضان حين لاحظ كثرة الأسرى المسيحيين فأمر باعتقالهم جميعا ونقلهم إلى فاس، وعندما عاد إليها جمعهم عنده في يوم العيد وحاول إغرائهم متحدثا عن مزايا الدين الإسلامي واللعنة التي تتبعهم من دونه، كما وعدهم بمناصب وأموال والثياب الفخمة وذهب وفضة، إن هم اعتنقوا الإسلام وأطاعوه، وإن حدث العكس ينالون الغضب والسخط، فأسلم جراء ذلك عدد منهم أطلق عليهم مويط لفظ

[1] .جرمان مويط: المصدر السابق، ص48.

[2] .نفسه، ص55.

"الزنادقة"، واعترض آخرون وذكر قصة اثنين منهم أحدهم إنجليزي والثاني فرنسي، حيث أفرغ غضبه فيهم وأمر بتشغيلهم في إصطبله بلا راحة حتى أصيبا بمرض خطير نقلا بعدها إلى السجن مع الأسرى إلى حين تم افتداؤهما من قبل رهبان لامرسي في 1676، وحتى الأسرى النساء الذين كانوا محبوسات وسط حريمه عذبوا بالجلد على يد زنجيات عددهن يفوق الألف لأنهن لم يقبلوا بكل إغراءات الملك وحين كانوا يشتكون يخبرهم أن خلاصهم الوحيد من سوء العاملة هو اعتناق الإسلام[1]. وأشار أيضا إلى أن العقوبات التي يعاقب بها الأسرى في فرنسا لا تضاهي كل هذه المحن التي لقاها الأسرى في السجون المغاربية والتي يخترعونها لإرضاء جنونهم ![2] الأمر الذي دفعنا إلى البحث عن حالة أسرى المسلمين في السجون الأوروبية وعرضها كالتالي:

الأسرى المسلمون في السجون الأوروبية:

كان أسرى المسلمين يستعملون في خدمة المصانع والمعامل والأوراش الكبرى ومباني الدولة ومصالحها العامة وخاصة التجديف في السف الفرنسية وهم مقيدون بالأغلال في أعناقهم لا يفتكون منها إلا بعد ضعف حيلتهم وقوتهم عن العمل حين إذن يباعون في الأسواق و يأخذ الملك نسبة عشرون بالمائة من ثمنهم كضريبة، و يعملون كالخدم في بيوت الرهبان والحقول وغيرها، كما أنهم كانوا في موضع الشك دائما، يتهمون بكل جريمة يمكن حدوثها، فقد كانوا يتهمون باستعمالهم السحر والسموم إن وجدت، فلا حق لهم في مشاركة العامة في المقاهي والمنتديات أبدا، ولا يسمح لهم بحمل أي شيء قد يستعملونه كسلاح يقاومون به، ويعاقبون عقابا قاسيا حال ما تبين منهم شيء من هذا فيجلدون بشكل مستمر بالسوط وعليهم دفع ضريبة دينار أو دينارين كدريعة وتختلف قيمتها بحسب نوع الجريمة، ولسادتهم الحق في التصرف بهم كيف ما شاءوا حيث كانوا يقاسون جميع أنواع العذاب ويحملون إلى التعميد و التمسح أحيانا رغم أنه لا يجيدهم شيئا من نيل حريتهم ومساواتهم بسائر المسيحيين ولا يغنيهم عن التعذيب والشقاء ولا يزيل عنهم التهم والشك المستمر ضدهم. كما أنه لا

[1].جرمان مويط: المصدر السابق، ص ص36.37 .

[2] . نفسه،ص 54.

يمكن لأي أحد أن يأويهم إلى منزله، و إذا خرجوا في اليل يتجولون بمشعل لكي يميزهم العامة به فيحذروهم. [1]

اما أكلهم فقد كان قاسيا ،يتكون من وجبة يومية من قطع من الخبز اليابس وشيء من الفول السيء الطهي والصلب وزيت وملح ،أما بالنسبة لألبسة فهي عبارة عن قميص وسروالين قصيرين وجوارب وسترة ،ويحدث أن لا يتم تغيير هذه الملابس، وتوزع ثياب المتوفين، وغالبا ما تكون بالية، هذا بالإضافة على إرغام المسلمين على الارتداد عن دينهم، أما الهروب من هذا الجحيم كان مستحيلا ،فالهارب غالبا ما يتم القبض عليه بسرعة، نظرا لملابسه الحمراء وللسلاسل المكبلة في رجليه، وكان العقاب بعد القبض هو قطع الأنف والأذنين، ولكثافة المراقبة والحراسة المشددة، تم تسجيل حالات كثيرة لفرار المغاربة، فمثلا حالة فرار أسيرين مغربيين باءتا بالفشل ،أولاهما المدعو، إبراهيم الشاوش والذي نفذ فيه حكم قطع الأذنين وجذع الأنف سنة 1690 م، ثم حالة أسير من فاس عاد إلى المغرب مقطوع الأنف والأذنين[2].

هذا ما يبين مدى التناقض المسرود في قراءة بين السطور، إذا قارننا حال الأسرى المسلمين في أوروبا بحال هؤلاء فلا نجد ما يتشابه بينهم إلا أنهم في الأسر، ذلك أن حال الأسرى المسيحيين فيه نوع من التجاوزات، ونلاحظ ذلك جليا في حصول الأسرى على المال من جراء بيع الخمر مما سمح لهم بإنشاء جمعية سرية لإسعاف المرضى في عهد المولى الرشيد وتمويلها وهيكلتها، حسب وصف مويط.

جمعية إسعاف مرضى الأسرى المسحيين :

يصف مويط بإسهاب كيف قام الأسرى المسيحيون بإنشاء جمعية لإسعاف المرضى بهيكلة من أمين صندوق وكاتب واثني عشر عضو يجددون كل سنة، جاءت فكرة هذه الجمعية بعدما أصبح الأسرى يحصلون على المال من جراء بيعهم لماء الحياة الذي أصبح متوفر لهم بأمر من الملك لأنه لاحظ أن نشاطهم كاد ينقص في أشغال هدم الأسوار بسبب فقدانهم لتناول الخمر الذي كانت أجسادهم متعودة عليه في بلدانهم، ولكنه منعهم من بيعه للمسلمين أو المتاجرة به وشدد لهم

[1] .جعفر بن أحمد ناصر: المرجع السابق، ج3، ص 36.

[2].jean Marteille: Mémoire d'un Galerien, paris 1928,p120.

العقوبات، ورغم ذلك لم يرهبهم ذلك، ولم يترددوا في بيعه للمسلمين مع حصولهم على أول فرصة للمتاجرة [1] . وعلى الرغم من التسامح الديني الفعال الذي أبداه السلطان تجاه الأسرى المسيحيين ، إلا أن مويط يُبرر عمل الأسرى برغبتهم في إثارة المسيحيين لكي يصبحوا خيريين تجاه العبيد الفقراء [2] ، والسؤال المطروح هنا هل كان للأسرى المسلمين في الدول الأوروبية كل هذه الجرأة والفسحة والتسامح من قبل سجانيهم حتى يصلوا لمثل هذه التجاوزات؟

لا يفوتنا هنا أن نشير إلى تلك العقوبات التي طبقها المولى الرشيد جراء تلك التجاوزات، فقد حمل السلطان "الدون بيدرو لوبيس" والاثني عشر أسير مسؤولية انتشار الخمر بين حرسه المسلمين، حيث كان السلطان يتجول يوما والتقى بأحد الحرس سكرانا، عندها غضب غضبا شديدا وأمر المولى إسماعيل بالتوجه إلى سجن الأسرى بفاس حيث إنهال عليهم بالضرب المبرح ثم اصحبهم إلى الملك وعلى رأسهم دون "بيدرو لوبيس " الذي كان يحبه والذي وصفه مويط بالنبل والكرم الشديد متشبثا بدينه رغم محاولة الملك في إرغامه على اعتناق الإسلام، وتهديده بالقتل إن لم يفعل ذلك، وفعلا قتلك الملك مباشرة بعدما سأله لماذا يسمح للأسرى ببيع الخمر ؟، وأصيبت بقية الأسرى الذين ربطهم في أشجار البرتقال في القصر بجروح بليغة لم يتمكنوا من العيش كثيرا بعدها حسب وصف مويط[3].

2: طرق معالجة المرضى من أسرى الخواص:

يصف مويط كيفية تطبيب أسرى الخواص مشير إلى أن هؤلاء يحضون بعناية أكثر من أسرى السلطان في هذا الجانب، لأن سادتهم يكسبون المال من تشغيلهم لهذا تتوجب عليهم تلك العناية، كما اعتبرها طريقة مضحكة وغريبة إذ يأتون بقضبان من حديد على رأسه دبوس يحمونه ويكوون به المريض في عدة مواضع في جسمه، ومن هنا لا يستطيع الأسير أن يشتكي من أي ألم مرة أخرى خشية أن تتكرر له العملية، وهي طريقة يعالجون بها الخيل أيضا [4].

---

[1]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص40.

[2]. Abdeslem Kninah: op.cit,p63

[3].جرمان مويط:المصدر نفسه، ص 34.

[4].نفسه، ص62.

و يقول الأسير" جوزي دوليون" أن المرضى من أسرى الإسبان كانوا يتلقون العلاج في مستشفى الدير حيث توجد صيدلية وجراح، وكل جنس من الأسرى كانت له مستشفيات خاصة ، ففي مكناس كان يوجد دير فرنسيسكان يضم عشرة من القساوسة واثنان من الرهبان وعيادتان [1].

3: طعام أسرى الملك ولباسهم:

أ. طعامهم:

كان طعامهم لا يتعدى ملئ اليدين من دقيق أسود مع أوقية[2] زيت لكل واحد، الصحيح منهم والمريض وللصغير والكبير، يصنعون الخبز منه على شكل أرغفة نصف ناضجة يتعاونون في صنعه خبازون في شكل مجموعات من الجنس الواحد، فكان منهم من الفرنسيين ثلاثة ومن الإسبانيين والبرتغاليين ستة وهكذا، يطهى في فرن يسخن بقشور الفول فقط. حيث أنهم كانوا في بعض الأحيان ينتظرون بالعشرات من الساعات نضج الخبز ،ويأكلون عادة في مجموعة من عشرة أو ثمانية أشخاص مجتمعين ويقومون ببيع حصتهم من الزيت ليشتروا ما يطبخونه في العشاء والذي كان في الغالب من شحمة أمعاء بقر المملح أو خضر وقليل من اللحم، يتولى مهمته طباخون يختارهم الأسرى بوكالة السلطان، وكان عليهم أيضا مهام كنس البيت وملئ جرار الماء وغسل الأواني وتهيئ الطعام[3].

وهذه شهادة من الأسير مويط على حسن معاملة المغاربة للأسرى حيث كان طعامهم محل اهتمام لذى السلطان بأن عين عليهم طباخين من اختيارهم ، ولم تكن معاملتهم بدرجة السوء التي وصفها في هذه الرحلة.

---

[1].Léon Chantale de la véronne: La vie de Moulay iSmail, paris 1974,p p 69,70.

[2] .من أشهر الموازين التي كانت سائدة في الجزيرة العربية ورد ذكرها في الحديث النبوي الشريف: "عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، كم كان صَداق رسول الله؟ قالت: كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أُوقية ونشاً، والنش هو نصف أوقية وتلك خمس مئة درهم." ومن هذا الحديث أجمع العلماء على أن الأوقية تساوي أربعين درهما. ينظر: مجهول، الموزين والمكاييل والأنصبة، في مجلة واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم، فلسطين،2011م، ص01.

[3].جرمان مويط: المصدر السابق، ص 63 64.

ب. **لباسهم:**

أما لباسهم فكان عبارة عن جلباب من صوف فيه غطاء للرأس ككساء راهب وقميص مخصر و سراويل مع أربعة أخفاف حقيرة، تصير بالية بعد أيام قليلة من ارتدائها من الخدمة في الجير والطين[1].

ت. فراشهم:

كانت عبارة عن منصات مصنوعة من قصب غليظ تبسط عليها بعض جلود الضأن يستعملونها كحاشيات، وكانوا ينامون في غرف عالية جدا، ومغطاة بسطح. وقد كان مويط بمكناس الجديد أحسن الأسرى موقعا في نومه حيث قام بصنع جزء خاص به بمساعدة "يوحنا كولومبي" والذي كان في شكل غرفة صغيرة مقامة على عارضة خشبية ضخمة جاء بها مع بعض من الأخشاب وجعل لها باب خفي، كان يعفى من عناء الخدمة كثيرا عند الاختباء فيها مع من أراد من أصحابه[2].

كما ذكرت الباحثة "ليلى مزيان" ان إيواء الأسرى لأول مرة كان في عام 1672 داخل أسوار قصر مولاي إسماعيل القريب من البوابة الرئيسية، وهي تتألف من عدة غرف مستطيلة عالية جدًا ذات أقبية حيث كان الأسرى أحرارًا في تنظيم أنفسهم قدر استطاعتهم[3] .

و يقول الأسير" جوزي دوليون " بهذا الصدد أن الأسرى بمكناس في 1708 كانوا يشتغلون في البناء والحدادة، ويسكنون في مقر عملهم، أما الآخرون فهم يسكنون في مكان وسط المدينة كان يسمى"القنوط" وكان بعضهم يحصل على ما يحتاج إليه بالعمل في أوقات الفراغ، أما الذين كانت سيرتهم حسنة يعطى لهم ترخيص بفتح حانة أو ممارسة حرفة أخرى في القنوط، أما الأسرى المهرة والمستقيمين والذين يتكلمون اللغة العربية، كانوا يوظفون في معامل السلطان، وفي مهمات أخرى

---

[1]. جرمان مويط:المصدر السابق، ص64.

[2]. نفسه،ص ص63 64.

[3]. Liela Maziane: op.cit,p07

تتطلب الثقة والأمانة، وكانت تعطى لهم حرية التجول داخل المدينة، ويحدث أن يقف السلطان بجانبهم في خصوماتهم مع المسلمين[1].

ث. مهامهم:

حسب ما ذكره الأسير مويط ، فإن عمل الأسرى غالبا ما كان في الأشغال الشاقة، خاصة البناء وتشييد القصور وهدمها أيضا عند ما كانت تحتاج لترميم. كما اشتغلوا كخدم في قصور مكناس ومطامير سلا والقصر الكبير و تطوان والذي يتمثل غالبا في كنس الأزقة وطفاء الجير والخدمة في الإسطبلات، كما كان منهم الطباخون و الحدادون والنجارون والأطباء الجراحون أيضا. لكنه أغفل دور بعض الأسرى المسيحيين الذين كانوا مكلفين ببعض المهام في السفن كبحارة فبعضهم كان شغله نشر القلوع وطيها والبعض الأخر يستعمل في تسيير السفن عند سكون الرياح بالمجاديف، اما في حالة الحروب فيعفون من هذه الخدمة لعدم الثقة بهم خشية فرارهم أو السيطرة على السفن إن وجدت الفرصة[2].

4: طرق افتداء الأسرى المسيحيين في المغرب:

أ. جماعة رهبان لاميرسي:

وهي جماعة رهبانية تأسست في 1218م بقصة عجيبة ، حيث يذكر مويط كيف تجلت السيدة مريم العذراء لمجموعة من القسيسين وأخبرتهم بطلب ابنها عيسى المسيح منهم في تأسيس هذه الجماعة لافتداء الأسرى المسيحيين. وقد أشار مويط إلى أن هذه الجماعة من أحسن الجماعات الرهبانية التي قدمت للمسيحية، ضمن حديثه عن "جوزيف كاستيل" الذي أصبح راهبا معهم حين عودته إلى فرنسا، بعدما كان أسيرا في مكناس حيث كان طبيبا ماهرا ، استفاد منه المغاربة كثيرا حسب ما ذكر مويط ولم يكن بودهم التفريط فيه للرهبان، وعندما ترهب عمل كثيرا على تحرير أسرى

---

(1) .Léon,Chantale de la véronne: op.cit,p p 69,70.

(2). جعفر بن أحمد اناصر: المرجع السابق، ج5، ص145.

مكناس الذين تركهم بعده، وحاول إقناع الرهبان بضرورة ذلك قبل المناطق الأخرى لما شاهده من محن فيها[1].

قام مويط هنا بمدح مبالغ فيه ومضخم لهؤلاء الجماعة طالبا من القراء المسيحيين أن يعظموا عملهم القائم على الإحسان، حيث كانوا كثيرا ما يعرضون أنفسهم لمخاطر البحر والزوابع من اجل أسرى لا يعرفون عنهم سوى أنهم مسيحيون سقطوا تحت سيطرة المغاربة الكفرة أقسى الناس وأقلهم شفقة! وهذا تحامل واضحا نتيجة تعصب الأسير مويط لديانة المسيحية.

كما أن هؤلاء الرهبان دائما في استعداد للموت من أجل كل إنسان، حيث أنهم يبقون أنفسهم رهائن عند المسلمين يقيدون بالسلاسل ويتحملون جميع المحن التي يخلصون الأسرى الذين يرون أنهم في خطر اعتناق الإسلام منها ! كما كانوا يعضون الأسرى ويصبرونهم على محنهم ويقوون إيمانهم، وينقذون الذين سقطوا منهم في الفواحش أثناء الأسر، كل هذا كان يعرضهم للإهانات والاتهامات الباطلة بأنهم يسبون القران و النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) فيجلدون جراء ذلك و يخيرهم المغاربة بين الدخول في الإسلام أو حرقهم أحياء كما حدث مع كثير من الرهبان حسب وصف مويط![2]

لكن الخبر في ما يتعلق بأحداث سفر هؤلاء الرهبان مشكوك فيها حيث تحذر بعض الكتابات منها، حيث يميل مؤلفوهم إلى تضخيم المحن التي تصيبهم، و هذا الميل إلى المبالغة في الظروف المعيشية للمسيحيين في المغرب العربي له هدف مزدوج: إثارة الرحمة وتعزيزها في بلدانهم الأصلية وتشجيع المؤمنين في فرنسا كما في البلدان الأوروبية الأخرى، على القيام بالتبرع للفداء، دليل على كرمهم[3].

---

(1) .جرمان مويط: المصدر السابق، ص66.

(2).نفسه، ص ص67 .66 .

(3). Ahmed Farouk: op.cit,p3

ب. افتداء الأسير جرمان مويط :

كان افتداء مويط بفضل جماعة رهبان لاميرسي فهو يكن لهم تقديرا كبيرا عرفانا منه بالجميل الذي صنعوه معه حيث ذكر أنه لولاهم لبقي مثقلا بالمحن أكثر، ففي 1680م انطلق هذا الوفد من مرسيليا وصولا إلى سبتة حيث منعوا من الدخول دون دفع إتاوة مائة ريال كل شهر طوال مدة إقامتهم، فبعثوا برسالة لسلطان المولى إسماعيل يخبرونه فيها أنهم قدموا من أجل افتداء بعض الأسرى بعد أن يسمح لهم بالدخول بإرسال حرسه لهم. وعلى الفور أمر السلطان الأميرال "ابن عائشة" بإحضارهم، وعند قدومهم قابلو السلطان وسلموا له هدايا عظيمة حسب ما ذكر مويط ولو لم يفعلوا ذلك لما كان لرحلتهم معنى[1].

كانت قيمة المبلغ الذي جمعوه للافتداء من المتبرعين 10.000ريال وهو الأمر الذي بسببه لم يحضوا بترحاب كبير لأنهم لو يكونوا مبعوثين من ملكهم في هذه المهمة بالإضافة إلى أن الأميرال ابن عائشة اتهمهم انهم لم يكونوا صادقين بل مجرد تجار حاولوا تضليل السلطان وسلب أفضل أسراه وترك أفقرهم وأحقرهم، وأقنعوه أن جميع الأسرى أعزاء عندهم لكنهم لا يستطيعون فدائهم كلهم بسبب قلة المبلغ، حيث كان عددهم مائتين وثلاثون أسير فرنسي، و بعد ثلاثة أيام قابلوا الملك واقترح عليهم مبلغ 30.000 ريال مقابل مائتين، لكنهم لم يقدروا عليه حتى اتفقوا على أن يسلم الملك خمسين أسير من اختياره مقابل المبلغ الذي بحوزتهم، بعد أن ناشدوه و توسلوا له، ولكن اختياره لم يقع إلا على الأرقاء الذين لا فائدة منهم في الأشغال، لم يكن جرمان مويط من بينهم حيث كانت تظهر عليه القوة ، لكنه لم يستسلم لذلك وبقي يتردد على الملك وهو منحن أمامه يتوسل إليه ويخبره بالمدة الطويلة التي أسر فيها (11 عاما) وأنه فقير ليس له من يغيثه سوى هؤلاء الجماعة، وبقي على هذا الحال مرتين والسلطان يصده إلى أن سأل الحراس عن نوع أشغاله فأخبروه أنه يشتغل في سحق الألوان والنقش على الجبس، الأمر جعل السلطان يظن أنه غبي ويحتقره لأنه لم يتعلم حرفة أخرى طيلة مكوثه في الأسر، و منحه بحريته قائلا " سر انك حر" ثم التحق بالبقية بعدما تم فحصه جيدا من الرأس إلى القدمين[2].

---

[1].جرمان مويط: المصدر السابق، ص 69.

[2].نفسه،ص ص69.71

ورغم كل ما يبدله الرهبان من تضحيات في سبيل السرى، كانوا يتلقون اللعنات والشتم والاعتداءات الجسدية من قبل الأسرى الذين لم يتمكنوا من افتدائهم ذلك أنهم أصيبوا باليأس من تخليصهم من محن الأسر[1].

5. قصص اجتماعية مثيرة للأسرى المسيحيين في المغرب:

أ. الأسير " برنارد بوصي " و الأسود:

والذي يعتبرها مويط معجزة، بيَن الله فيها عنايته الخاصة، في قصة لأسير كان حارسا لثياب غلمان الملك مكلفا بالمخازن الملكية المجاورة لباب الحريم ، ويذكر مويط أن المولى إسماعيل كان يحبه حيث كان يقوم بتعليم اللغة الإسبانية لطفلين من أبنائه ، وكثيرا ما كان يعرض عليه الإسلام بالتي هي أحسن وعندما يغضبه عدم تجاوبه له كان يعامله بعنف، في إحدى المرات اتخذ السلطان وجود قشتين من التبن في الأرض ذريعة لتوبيخ هذا الأسير على أنه لم يأمر الخدم بالتنظيف، وجلدوه بعد تجريده من الثياب حتى أصبح جلده مفحما وأرسله إلى سجن لأسرى، وبعد مرور أيام أرسله في طلبه وحمله مسؤولية سرقة الدقيق في تلك الأيام ولامه لأنه لم يعد لعمله رغم أنه لم يأمره بذلك، ورغم تبريره بذلك إلا أن السلطان أمر بإلقائه طعاما للأسود! وعندما سمع الأسير بوصي بهذا، هم بإلقاء نفسه بين أربعة عشر أسدا ضخما لم يأكلوا لثلاث أيام حيث كان أهون عليه من أن يرميه الحرس، وضل فيها قرابة الخمسة ساعات والغريب أن تلك الأسود رغم أنها كانت جائعة تتقدم منه بشراهة ولكنها لم تؤذه واعتبرها مويط معية الله له ولطفه، وهو ما لم يحدث بعد أربعة أيام من هذه الحادثة مع ثلاثة فقهاء مسلمون ذهبوا للملك يلومونه على قسوته فأمر برميهم للأسود مزقتهم تمزيقا. أما الأسير بوصي فبين الحين والأخر يبعث الملك ليرى ماحل به محاولا إغرائه باعتناق الإسلام إن أراد السلامة من ما هو فيه لكنه كان مصرا على دينه، إلى حين شفعت له أسيرة اسبانية وزوجها كان لهما مكانة خاصة عند الملك، ومنها أخرجوا "بوصي " وتم افتدائه من قبل رهبان لاميرسي مع الأسير مويط بعد ثمانية أيام في 1681[2].

---

[1] . جرمان مويط: المصدر السابق، ص 71.

[2].نفسه ص 53.

والملاحظ هنا أن مويط روى هذه الحادثة بشكل مبالغ فيه لتضليل المسيحيين المتعصبين، حيث ذكر أنه قام بتزكيتها بإمضاء الرهبان المقيمين في مرسيليا و الذين لم يروا منها شيء! حيث إن معانات الأسرى في المغرب لا يمكن انكارها لاكن كثيرا من الأفكار و الوقائع التي أشيعت من الآباء المخلصين والتي لا يمكن فهما وخاصة تلك التي نسبة إلى المولى إسماعيل من عمليات الإعدام وغيرها [1].

ب. فرار الأسرى المسيحيين:

والتي كانت كثيرة يحضر لها يوم الجمعة حين ينشغل المغاربة بالصلاة في المسجد إلا الحارس الذي يقومون بإلهائه بالحديث، في حين يقومون بدفن الراغبين في الفرار في خندق على طول الأسوار خارج قصر مكناس ماعدا رؤوسهم لكي لا يختنقوا حيث يغطونها ويتغوطون بجانب هذا المكان حتى يتقزز منه الحراس المغاربة ولا يكون مشبوها فيقتربوا منه، وعندما يحل الليل ينطلق الأسرى الفارين من هناك. لكن هذه العمليات لم تكن ناجحة كثيرا، فإما أنهم يختنقون ويموتوا ، مثل ما حدث مع الأسيران الإسبانيان اللذان دفنا نفسهما في مطمورة مغطية بخشبة عليها تراب ولم يكفيهم الثقب الذي تركوه لتنفس مما أدى إلى اختناقهما ،ولم يكتشف أمرهما إلا بعد صعود رائحة نتنة، أو أن يلقى عليهم القبض مثل ما حدث مع الأسير رمضان الإسباني وعبد الله (ذو الأصول مغربية والذي كان أسيرا في اسبانيا وتنصر). وهما إسلاميين أرغموا على التدين بالإسلام عند أسرهم بكل ألوان العذاب كما يصف مويط، ثم عزما على الفرار من ثغور سلا نحو منطقة "الجديدة" التي كانت بها حامية البرتغاليين في شواطئ مراكش آن ذاك بعدما حن قلبهم إلى المسيحية والفرار من ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حسب ما ذكر مويط. انطلقا بعدما سرقا جوادين من اليهود وعندما أصبحا على مرأى من أزمور كان عليهما عبور نهر يدعى "أم الربيع" وهو الذي كان سببا في تباطئهم ولجوئهم لمساعدة أحد المغاربة من هناك بعدما أخبراه أنهم متوجهين للسلطان بفاس لتقديم شكوى، لكنه تفطن لرغبتهم في الفرار وأخبر عنهم مباشرة، وعادوا بهم إلى سلا أين عوقبوا بالتعذيب وحرق وجوههم بالنار ثم دحرجوهم رفسا بالأرجل على مسافة خمسين خطوة، ثم ألقي بهما في سجن المطمورة التي كان بها مويط حيث يذكر أنهم لم يقدم لهم أي إسعاف مدة شهرين لو لم يسعفهم هو

[1].Ahmed Farouk: op.cit, p09.

وبعض الأسرى، ومع مرور فترة من الزمن أعادا المحاولة حيث تمكن الأسير رمضان من الفرار إلى الجزائر لكن عبد الله ألقي عليه القبض وأحرقه الأمير غيلان حيا أمام ساحة سوق القصر الكبير سنة 1673[1]. ويذكر مويط أن عقوبات الهاربين كانت شديدة حيث كانت تقطع أذانهم وقطع من جلودهم الميتة بسبب الجلد المستمر مثل ما حصل مع "الدُن رافييل دوفياس"[2].

و يرجع بعض الباحثين ظاهرة محاولات هروب بعض الأسرى المسيحيين في المغرب أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر هذه إلى اليأس من فاعلية جهود المخلصين [3]، حيث سجلت الإحصائيات ثمانية حالات هروب من بين 378 أسير فرنسي ما بين 1700و 1727م [4].

ت.**إحراق الأسيرين الإسبانيين:**

هي قصة متداولة بين الأسرى رويت للأسير مويط وهو بدوره أرخ لها، وهما شخصان كانا يعملان في الحراسة عند الإسبان في حصن البستيون المجاور لتطوان، وكانا يريدان اعتناق الإسلام والفرار من الإسبان لأنهما كانا معاقبين بسبب جرائمهما فيها، وعندما تقدما نحو تطوان سيقا إلى رئيس المنطقة وأخبره الأول أنه يريد التنكر لله والصيام والتعميد بالدخول في الشريعة المحمدية، الأمر الذي أغضب الرئيس وجعله يعاقبه عقاب شديدا لأن أسلوبه لم يكن محترما في الحديث عن الله ودين الإسلام، فأمر بتثبيت شموع على أكتافه وصدره تحرقه حيا عند الطواف به في السوق. أما الشخص الثاني كان كلامه مؤدب يوحي حقا بإرادته في الدخول في دين القرآن والتخلص من المسيحية المملة حسب قوله، و حضي بالقبول وأُلبس لباس فاخرا وشيعوه بالطبول والمزامير وقربه الرئيس له فكان يعمل في جباية الضرائب حيث أصبح ثريا منها وعندما توفي رئيسه نال حريته وقرر العمل في القرصنة ومعه بعض من رجال المغاربة الذين كانوا يتمننون العمل معه حسب ما ذكر مويط وعرضوا عليه الزواج من أجمل سيدة في تطوان لكنها كانت عنيدة وتكبرت عليها بشروط قاسية رغم ما حاول تقديمه لها، وشرطها الأخير كان في أن يأتيها بأبيه وأمه من إسبانيا ليعملوا كالأسرى عندها لكي تقبل

---

[1].جرمان مويط:المرجع السابق، ص ص56_60.

[2] .نفسه، ص57.

[3] .Ahmed Farouk: op.cit,p 03.

[4] . Leila Maziane:op,cit,p06

به زوجا. عندها لم يفكر وهم مباشرة بتنفيذ ذلك من أجلها متوجها إلى إشبيليا حيث تقطن عائلته التي قابلها وتحايل على أفرادها بقصة من خياله من أجل أن يأسرهم ويأخذهم إلى المغرب لكن أمره كشف و أصبح هو أسيرا في إشبيليا ورغم محاولات عائلته له بإدراك ما فاته إلا أنه كان مصرا على إسلامه، فقرروا إحراقه حيا ليكون عبرة [1].

ث.الأسير " دولابلاس "وعلاقته بالسيدة المغربية:

كان هذا الأسير في طبعه يظهر ميله لمداعبة النساء حسب ما وصفه مويط في البداية، كان أسيرا عند القائد عبد العزيز رئيس مجلس المولة أحمد بن محرز ابن أخ المولى إسماعيل، ونظرا لكونه متخصص جيد في الموسيقى والعزف على الجيتار فقد كان محل اهتمام عند المغاربة وحتى النساء حيث كانت زوجة القائد عبد العزيز تستمع له كثيرا وتتعلم منه العزف ولما شاع الخبر عنه، وكان لهذه المرأة جارتها والتي هي زوجة كاتب القائد وقد تأثرت كثيرا بصوت الأسير بدولابلاس وطلبت منه زيارتها من أجل أن تتعلم منه هي أيضا وأخبرته عند زيارته لها أنها تحبه وأصبح لا ينقطع عن منزلها بعد أن أخذت إذن زوجها بحجة رغبتها في تعلم العزف. وفي أحد الأيام دخل عليهما زوجها الكاتب ورى ما لا يسره بينهم ولاحقهم بالسكين لكنهما هما بالفرار إلى منزل القائد حيث حكوا لزوجته أنهما كانا مجتمعان من أجل الموسيقى لا غير وأن الزوج الكاتب كان تحت تأثير الأفيون[2] الذي كان يتناوله كل صباح حيث تسرع في الحكم عليهما بالخيانة، وصدق ذلك كل من القائد وزوجته ولم يأخذا الأمر بمحمل الجد بل حتى أن القائد لاَم الكاتب الذي ذهب يشتكي للقاضي على تسرعه وأخبره أن زوجته عفيفة لا تجرأ على خيانته وأن عليه أن يتوقف عن تعاطي الأفيون لأنه سبب له ذلك، ومنذ هذه الحادثة انقطعت تلك العلاقة الغرامية[3].

---

[1].جرمان مويط: المصدر السابق، ص 130 .136.

[2].هي مادة سائلة يمكن الحصول عليها عن طريق تجريح كبسولات نبات الخشخاش وفي البداية يكون لونه أبيض ثم يتحول إلى بني، وهي مادة مسكرة. ينظر: محمود محمد عبد الرحمان،إدمان الأفيون والأفيونيات، في مجلة أسيوط لدراسات البيئة، ع 21، جامعة أسيوط، 2001م،ص01

[3]. جرمان مويط: المصدر نفسه، ص 125.121.

ج. الأسير الفرنسي والسيدة السلاوية:

يروي مويط بأن كانت هناك سيدة تدعى فاطمة مولعة بالغرام وكثيرا ما تهوى الفجور رغم أن أباها زوجها بشخص يدعى محمد التونسي الذي كان هو أيضا هاويا للخمر والغلمان، حيث كانت مستاءة منه كثيرا وحزينة مرضت جراء ذلك مرضا شديدا تابع علاجها منه أسير جراح ماهر كان أسيرا لدى أخ زوجها، وكان هذا الأسير جميلا بدأت تميل إليه فاطمة وأخبرته بحبها عندما جاء يطمئن عن صحتها في أحد المرات وراودته عن نفسه علنا ، وهو بدوره لم يرفض ذلك رغم خوفه من زوجها. وبدأت منذ ذلك علاقتهما الغرامية حيث كان يزورها كل ما يكون زوجها في المدينة حتى أن هذا الأخير لم يكن يشك فيه أبدا رغم أن يهوديا قام بتحريضه وتشكيكه فيه حيث كان يراقب زيارات هذا الأسير المتكررة على فاطمة ، مما دفع التونسي إلى التجسس على زوجته في البيت للتأكد لكنها كانت ذكية وتصرفت بحكمة، وهكذا دامت هذه العلاقة طويلا حتى سنة 1678 حيث توفيا جميعا بالطاعون. ويتهم مويط بالقياس على هذه القصة نساء إفريقيا بشكل عام مشيرا إلى أن طبعهن قلة العفة والحياء بسبب وجود شخص واحد فقط كزوج للعديد منهن، بالإضافة إلى أنهن يمنعن من الخروج لأن رجالهن يغارون عليهن من المسلمين في الخارج لكن هذه الغيرة منعدمة تماما اتجاه الأسرى المسيحيين إذ يسمح لهم بدخول بيوتهم و الكشف على حريمهم على أي حالة وكيف ما كانوا، الأمر الذي أدى إلى بروز ظاهرة الخيانة هذه[1].

خاتمة الفصل:

وفي مجمل القول نستنتج:

_ أن الأسير "جرمان مويط" تناول في مذكراته قصصا و تفاصيل كثيرة لا يستغنى عنها في التأريخ للمغرب الأقصى من خلال وصفه لحياة الأسرى المسيحيين ومعاناتهم في الأسر مع الأخذ منها بحذر.

_ أن الأسير" مويط" في أحيان كثيرة كان يتميز بالعصبية الدينية والتحامل على سلاطين المغرب خاصة، والعقلية المغربية والإنسان المسلم عامة، لا سيما أن هذا التصرف ليس غريبا منه لو دققنا في

[1]. نفسه، ص 102.105.

هدفه من كتابة هذه المذكرات والمتمثل في استنهاض همم المسيحيين لافتداء الأسرى، سنتوقع أكثر من هذا التلفيق والمبالغة في طرح الأحداث للقارئ.

_ من خلال مذكرات "مويط" يلاحظ القارئ مدى المحن القاسية والعظيمة التي عاشها الأسرى المسيحيين بدءً من الأشغال المرهقة إلى سوء حال المعيشة إضافة إلى الظلم و التسلط عليهم من السلاطين. لكن هذا يتناقض كثيرا مع ما يذكره هذا الأسير في جزئيات أخرى من هذه المذكرات حيث يتبين للقارئ مدى الفسحة التي كان فيها الأسرى وحرية التجول لدرجة قيامهم بعلاقات غرامية مع النساء المغربيات! كما أنها تتناقض بشكل مبهر مع ما ذكره مؤرخون آخرون عن حياة الأسرى في المغرب وعقلية السلاطين المغاربة معهم وخاصة المولى إسماعيل الشريف.

_أن الأسير "مويط" حاول أن يبين للقارئ مدى سماحة المسيحيين و روحهم الطيبة الخيرية من خلال وصف جهود جماعة "رهبان لاميرسي" التي نعت رهبانها بآباء الرحمة الذين لم يتوانوا في إسعاف بني جلدتهم والمخاطرة بحياتهم في سبيل ذلك، مقابل جشع ووحشية المغاربة المسلمين!

_ أن عنصر الأسرى عنصر مهم في تشكيلة المجتمع في المغرب الأقصى الحديث، حيث كانت له مساهمات فاعلة في مختلف المجالات الحياتية فقد كان منهم النجارون والاطباء الجراحون.. ، وغيرها من المهام والأدوار التي مكنتهم من الدخول في علاقات مع المغاربة وبالتالي الاندماج جزئيا في المجتمع.

الفصل الثالث:

تاريخ المغرب الأقصى في كتابات الأسرى

" جرمان مويط" نموذجا

تمهيد:

أولا: نماذج من أسرى أرخوا للمغرب الأقصى:

1.الأسير لويس مارمول كرابخال و كتاب "إفريقيا"

2.الأسير البرتغالي" أنطونيو دي صالدانيا" وكتاب "أخبار المنصور سلطان المغرب"

3. الأسيرة الهولندية " ماريا ميثلن" في كتاب "اثنا عشر سنة من الاستعباد"

ثانيا: تاريخ المغرب الأقصى الحديث من خلال رحلة الأسير "جرمان مويط"

1.التاريخ السياسي

2.التاريخ الاجتماعي

3.التاريخ الثقافي والعمراني

4. التاريخ الاقتصادي

تمهيد:

إن الدارس لتاريخ المغرب الأقصى والباحث فيه لا يمكنه تجاوز كتابات الأسرى المسيحيين المؤرخين لمذكراتهم في الأسر وللأحداث التي مرت بهم والتجارب التي مروا بها، فإن هناك عدد لا بأس به منهم كان له دور كبير في كتابة تاريخ المغرب العربي الحديث عامة والمغرب الأقصى خاصة.

أولا: نماذج من أسرى أرخوا للمغرب الأقصى:

1.الأسير "لويس مارمول كرا بخال (Louis Marmoul karabkhal):

أ_ تعريفه:

المولود بغرناطة في أوائل القرن السادس عشر، سار في جيش حملة شارلكان[1] 1535 م على تونس وبقي بعدها حوالي اثنين وعشرين سنة في مهمة كلف بها من طرف هذا الأخير والتي لم يصرح عنها، لكن في دراسة تحليلية للأسلوب الذي اعتمده في كتابه " إفريقيا" و تفاصيلها يدل على أنها مهمة في الجَوسَسة على بلاد شمال إفريقيا ، ثم أسر خلال هذه الفترة من طرف الشرفاء السعديين وبقي في الأسر مدة سبعة سنين وثمانية أشهر. عاصر ثلاثة من ملوكهم: "أحمد الأعرج" و"محمد المهدي الشيخ " وعبد الله الغالب"[2].

---

[1].وهي حملة إسبانية قادها الملك شارلكان على الجزائر العثمانية بدعم من الكنيسة الكاثوليكية تتكون من 24ألف جندي من ايطاليا وألمانيا وإسبانيا، كما ضمت أكثر من 65 ألف سفينة حربية و 400سفينة نقل. ينظر: زلاطي إيمان،الحملات الأوروبية على الجزائر في العهد العثماني، في رسالة ماستر، تخصص تاريخ، إشراف بوشيبة ذهبية، جامعة مولاي طاهر _سعيدة، 2016_2017، ص ص12

[2] . مارمول كرابخال: إفريقياَ، جزئين ، تر: محمد حجي وحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد بنجلون، مكتبة المعارف، د.ع.ط، الرباط،1984م، ج 1، ص ص5.4.

ب_ مضمون كتابات الأسير "مارمول كرابخال" في "إفريقيا":

يعد كتاب إفريقيا من أهم المؤلفات التي تناولت تاريخ المغرب الكبير عامة، والمغرب الأقصى خاصة. نشر في 1571م، يغلب عليه الطابع الجغرافي كتعريف المدن وأماكن المغربية والإفريقية، وهو يشبه كتاب الحسن الوزان في "وصف إفريقيا" حيث ذكر المؤرخون أنه نقل عنه فصولا كما هي بالحرف، لكن مارمول كان متعصبا للمسيحية حيث وجدت الكثير من العبارات والجمل المحرجة ضد الإسلام في الجزء الأول من هذا الكتاب الذي خصصه لتاريخ الإسلام العام في الشرق والغرب، ذلك لأنه كان جاهلا بهذا الدين ولم تكن مرجعيته في التأريخ له غير مكتبات الأديرة وحوليات القساوسة المليئة بالأساطير والحقد والتحامل على الإسلام [1] .

2.الأسير أنطونيو دي صالدانيا (Antonio De Saldania)

أ_ تعريفه:

برتغالي الأصل ينحدر من نسل أسرة عريقة النسب، عين والده "أيرش" حاكما لمدينة طنجة التي كانت تحت حكم البرتغال، رافقه إليها بصفته فارسا في حامية المدينة وبعد سنتين أسره المغاربة ونقل إلى مراكش وامتد أسره فيها إلى ما يزيد على أربع عشرة سنة على الرغم من جهود أبيه في فدائه، ولم يستعد حريته إلا بعد وفاة المنصور في 1606[2].

كان هذا الأسير يتمتع بمعاملة خاصة في حرم السلطان "أحمد المنصور "[3] حيث كانت الحرية الكاملة في التجول والتنقل داخل مدينة مراكش مما مكنه من تكوين علاقات مع الخدم والأسرى

---

[1]. مارمول كرابخال: المصدر السابق ،ص ص4.3.

[2] .أنطونيو دي صالدانيا: أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تر و تح: إبراهيم بوطالب، دار الجمعية المغربية، د.ع.ط، د.م.ط، 2011م، ص ص10.11.

[3]. هو أبو العباس أحمد المنصور السعدي، لقب بالذهبي بعد غزو سينغاي في السودان (القارة السوداء) لكثرة الذهب الذي جمع منها، ولد أحمد بمدينة فاس عاصمة المغرب في عام 1549م، والده محمد الشيخ بن محمد القائم بأمر الله الزيدني الحسني السعدي مؤسس الأسرة السعدية، والدته مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله، بويع حاكما على المغرب في ساحة معركة وادي

المسيحيين الآخرين و خاصة منهم أسرى معركة" واد المخازن"[1] ، حيث تمكن من تدوينن العديد من المعلومات عن ظروف أسرهم وأسرار سادتهم، كما ربط علاقات مع بعض قادة المغاربة وكبار الموظفين والوافدين من تجار وسفرا وبحارة برتغاليين، كما واستفاد من هذه العلاقات و المعارف على أدق تفاصيل الحياة في البلاط السعدي وما كان يجري فيه من دسائس وصراعات. توفي في البرتغال قبيل 20 مارس 1665 [2].

ب_ مضمون كتابات الأسير "دي صالدانيا" في "أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب" وأهميته:

أجمع الباحثون في دراسة التاريخ على أهمية هذا المؤلف لما فيه من معلومات مفيدة وشيقة وفريدة عن فترة من أهم فترات تاريخ المغرب الحديث، وهو في أصله مجموعة من التقاييد أو المذكرات الشخصية دونها الاسير" أنطونيو دي صلدانيا" خلال فترة أسره بالمغرب، مسجلا أهم الأحداث التي عاينها أو سمع عنها، وملاحظاته عن حياة المغاربة وعاداتهم وأخبارهم وأحوال الأسرة الحاكمة. ولكنه لم يدونها في وقتها بل عند مرور فترة من الزمن حيث يرجع المحقق "إبراهيم بوطالب" الدافع لذلك أن دي صلدانيا قد سمع الكثير من المغالطات و الترويج لأخبار زائفة عن الدولة السعدية وعهد المنصور والملك سيباستيان، فقرر في السنوات الأخيرة من الصراع القائم بين البرتغالي الإسباني من أجل فك الارتباط من العرش الإسباني أن يضمن هذا الكتاب حقيقة ما شاهده من احوال بلاد المغرب و اهم أحداثه مثل معركة وادي المخازن. وتكمن أهمية هذه المذكرات أيضا في أن هذا الأسير كان شاهد

المخازن في 1578م. ينظر: عقيل نمير، السياسة الداخلية للمغرب الأقصى في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، في مجلة دراسات تاريخية، ع 135،2017، ص401.

[1]. وهي معركة حدثت في المغرب والضبط في منطقة القصر الكبير بقيادة عبد الملك السعدي وأخيه المنصور ضد البرتغاليون بقيادة الملك سبستيان المتحالف مع عبد الله المتوكل الملك المخلوع المدعى المسلوخ)الذ فر من المغرب إلى أوروبا ، جرت هذه المعركة في صيف 1578م وكان النصر فيها حليف المغاربة ومن نتائجها وفات الملوك الثلاث (عبد الملك السعدي والمتوكل وسيباستيان) وظهور أحمد المنصور الذهبي ملكا للمغرب.ينظر: جلول بن قومار،معركة واد المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا(1578_1603، في مذكرة ماجستير، إشراف عمار بن خروف، تخصص تاريخ، جامعة غرداية،2010_2011،ص ص 83.86

[2] .أنطونيو دي صالدانيا: لمصدر السابق، ص14.

عيان لما كتبه والبعض منها استقاها من مصادر موثوقة، كما أن معلوماته تتطابق بشكل كبير مع ما جاء في المصادر المغربية وتنفرد أحيانا بأحداث ومعلومات لم توجد في أي مصدر آخر[1].

ت_ الهدف من تدوينه لمذكراته:

في حديث الأسير "أنطونيو دي صالدانيا" عن الدوافع التي دعته لتدوين هذه المذكرات بعد أزيد من ثلاثة عقود من حصوله على حريته وعودته إلى البرتغال، ذكر أن غاياته عديدة ومنها التذكر والعبرة والحيلولة دون أن يعبث النسيان بذاكرته المليئة بالتجارب عبر كل تلك الفترة الطويلة من الزمن، والدافع الآخر تمثل في طلب كبار وزراء البرتغال الذين استمعوا إلى مذكراته وألزموه بتدوينها حيث تمت صياغته النهائية في 1640م[2].

3.الأسيرة "ماريا ميتلن (Maria Ter Meetlen):

أ_ تعريفها:

أسيرة هولندية الأصل، ولدت في 1704 وتم تعميدها كاثوليكيا ، وعندما أصبحت في سن الثالث عشر من عمرها خضعت للتجنيد الإجباري في كتيبة إسبانية، تعرضت للأسر بمكناس في الفترة ما بين 1731 و1743 م. سجلت هذه الأسيرة يوميات الأسر في المغرب باللغة الهولندية تحت عنوان " اثنتا عشر سنة من الاستعباد" بعد مضي خمس سنوات من تحريرها في بلدها في 1748م، وبعدها صدر هذا المخطوط بالفرنسية و الإنجليزية [3].

---

[1]. أنطونيو دي صالدانيا: المصدر السابق، ص ص 11.14.

[2]. نفسه، ص 12.

[3].ماريا ميتلن: اثنا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1743_1731، تر: بوشعيب الساوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1،د.م.ط، 2018م، ص03.

ب_ مضمون كتاب ماريا ميثلن " اثنتا عشرة سنة من الاستعباد":

يُعتبر هذا مؤَلف مهم جدا في تاريخ المغرب الأقصى في كونه من تأليف عنصر نسوي غربي زار المغرب من جهة، و كونه قد أرخ لمرحلة مهمة من تاريخ المغرب الأقصى من الناحية السياسية من جهة أخرى. تحدثت هذه الأسيرة فيه عن قصة أسرها في المغرب بشيء من التهويل و التشويق للقارئ كما لم تول أهمية كبرى لوصف الأماكن و الأشخاص والملوك وإنما ركزت على الأحداث الخاصة التي ظلت مرتبطة بها و بمغامراتها كزواجها مثلا [1].

ثانيا: تاريخ المغرب الأقصى الحديث في رحلة الأسير جرمان مويط(Sieur German) Mouit:

تَضمنت هذه الرحلة أحداث و محطات تاريخية كثيرة في مختلف المجالات الحياتية في عهدي المولى الرشيد والمولى إسماعيل، وبما أن هذا الأخير هو الذي يهمنا في هذه الدراسة فسنحاول تلخيص ما ذكر في عهده فقط حسب التقسيم التالي:

1.التاريخ السياسي للمغرب الأقصى الحديث:

تطرق مويط في رحلته هذه إلى محطات سياسية مهمة وبارزة في تاريخ المغرب الأقصى نعرضها كالتالي:

أ_ ثورة "الخضر غيلان"[2]:

أشار مويط ضمن حديثه عن مدينة القصر الكبير إلى قصة الأمير غيلان الذي استولى عليها من قائد الزاوية الدلائية [1] " ابن أبي بكر" في عهد المولى الرشيد وهزمه هذا الأخير في معركة ساحقة

---

[1] .ماريا ميتلن: نفسه، ص15.

[2].من قبيلة جرفط العربية التي تقطن بين تطوان والعرائش كان أحد كبار المجاهدين بمنطقة الهبط، انضمت إليه قبائلها وكانت له عدة حروب مع الدلائيين والأشراف العلويين إلى أن قتله المولى إسماعيل في 1674.ينظر: أبو القاسم الزياني،البستان الضريف في مفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف،المصدر السابق، ص99.

تخلى إزائها عن مدن القصر وتطوان وأصيلا ونفي إلى الجزائر حتى سنة 1672 التي استدعى فيها من قبل أهل المغرب،و عاد بعدها إلى نشاطه في الحروب الأهلية في عهد المولى إسماعيل الذي كان منشغلا بحصار" تازا " أن ذاك، وما إن فرغ له ثار ضده وقضى عليه نهائيا بقطع رأسه وبعث به إلى خليفته "المولى هاشم" بفاس كعلامة نصر.[2] حيث ذكر الضعيف الرباطي أيضا أنه في السابع عشر من شهر رجب لعام 1674 خرج المولى إسماعيل نحو الغرب ، أخد "غيلان" وقتله ونزل بالقصر في وقعة كانت يوم الأحمد[3].

ب_ اقتحام "الخضر غيلان" لمدينة العرائش:

ضمن حديث مويط عن قصة الأسير دن رافاييل الذي كان جنديا لدى الإسبان في حصن العرائش، وصف بإسهاب كيف قام الأمير غيلان و الذي كان يسيطر على مدينة القصر الكبير آن ذاك باقتحام العرائش وتحريض أهل تطوان وأصيلا وسكان الأقاليم على جمع الحشود لهذا الأمر بعدما علم من احد الجنود الإسبان الذي فر من الحصن نحو القصر بأن منطقة العرائش قد ساد فيها المرض واستحكمت فيها المجاعة، فوجد المغاربة الفرصة في ذلك، حيث أمر الأمير غيلان بإنشاء سلاليم طويلة وعريضة تمكن جنوده من الوصول للحصن الذي كان محفوفا بمجموعة من الخنادق، حيث أمر بردمها بأكياس الصوف وجدور الأشجار، ثم بدأ يأمر باقتحام المدينة في وقت الفجر. وفي المقابل بدأت مدفعية الحصن التي كانت محملة بالسلاسل والأكياس وكور الرصاص والمسامير بإطلاق النار حيث أخلت كل تلك السلاليم، بالإضافة إلى استعمال البراميل مشتعلة بالنار كانوا يدفعونها باتجاه مكان نصب السلاليم، مما أدى إلى تقهقر المغاربة وتراجعهم الأمر الذي أغضب الأمير غيلان وجعله يهددهم بالإعدام إن هم تراجعوا وحاول تشجيعهم بأن عدد الإسبان قليل وانهم قادرون على هزيمتهم فعاد المغاربة بحماس أكبر للهجوم، لكن الاسبان أبادوا منهم أكثر من المرة الأولى ولم يكن

---

[1] . تأسست في 1566 على يد أبو بكر بن سعيد محمد الدلائي في مدينة فاس و موقعها بالضبط على ربوة في سفح جبل بوثور، ينظر:محمد حجي، الزاوية الدلائية ودولها العلمي والسياسي، لمطبعة الوطنية بالرباط، د.ع.ط، 1964، ص35

[2] جرمان مويط: المصدر السابق ، ص45

[3] .محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص 59.

على الأمير غيلان سوى رفع راية الاستسلام والتفاوض واتفقوا على أن يبعث للحصن بمائتي رأس من الغنم وكذلك من البقر مقابل استلام قتلى المغاربة [1].

ت_ استيلاء الأندلسيين على مدينة سلا من الدلائيين:

و في حديثه عن مدينة سلا التي أخذت صبغة الجمهورية بعد استقرار الأندلسيين بها والذين كانوا أكثر عددا من سكانها السلاويين حيث ساعدهم هذا في فرض نظامهم عليها بعد الاعتراف بأي عاهل ،كما أعرضوا عن الالتزام بالطاعة التي وعدو بها ابن أبي بكر الدلائي الذي كان حاكم سلا والمغرب آن ذاك، ذكر المشاحنات التي كانت بين الطرفين حيث حاصر الأندلسيون الأمير عبد الله ابنه حاكم القصبة، و يذكر مويط أنه صمد طويلا ولم يكن يمده أحد بالمؤن ماعدا أمير ميناء سانت ماري القريب من قادس، كما كان يحمل التجار المسيحيين إلى سكانها القمح الذي كانوا ينزلونه من شاطئ بين المعمورة وسلا مقابل الذهب والأملاك التي جاءوا بها من إسبانيا. وعندما سئِم الأمير من الحصار حاول التحالف مع قائد مركب إنجليزي على أن يسلم لإنجلترا القصبة مقابل مدد منهم من ذخائر وأسلحة يواجه بها الأندلسيين، لكن السكان قاموا بتهديد الأمير بعد بتفجير الصخرة بلغم إذ لم يسلمهم القصبة وكان فكرة التفجير من اختراع أسير ايطالي وعدوه بإطلاق سراحه بالمقابل، و بعدها استسلم الأمير وقدم القصبة وغادرها مقابل شروط كان من بينها أن يسلم له ذلك الأسير الإيطالي ليقتله ويمثل به. ومن جهة أخرى أقام الأندلسيون ديوان لهم بسلا بقيادة الحاج عبد الله فنيش ومحمد سانتياكو وأعيان آخرون واستمر هذا الحكم إلى فترة حكم المولى الرشيد[2].

ث_ ثورة أهالي فاس على المولى إسماعيل:

أشار مويط إلى ثورة أهالي فاس البالي على المولى إسماعيل مستنجدين بابن أخيه المولى أحمد بن محرز، الذي كان مقيما بتازة و الذي أرسل إليهم ألف وخمسمائة فارس وخمسة آلاف من المشاة،

---

[1] . جرمان مويط: المصدر السابق، ص ص 110.111.

[2].نفسه، ص 19.

وعندما تمكن من استعادتها المولى إسماعيل وإخضاع أهلها لطاعته حوَل جميع العبيد الذين كانوا بحوزة ابن أخيه إليه ومن بينهم مويط[1] .

حيث ذكر الضعيف الرباطي أن بعد تمام دفن المولى الرشيد في مدينة فاس في ليلة جمعة غدر أهل فاس بقائد المحلة "زيدان بن عبيد المالكي" واستمر منذ ذلك الحروب بينهم وبين السلطان واستنجدوا بابن أخيه أحمد بن محرز الذي قاد ثورة ضده واستنجد بالأتراك في الجزائر، لكن المولى إسماعيل تمكن من القضاء عليه وقتله في 1686 [2]. ورجع إلى فاس الجديد فوقع الصلح بينه وبين أهلها، وقابل أعيانها بعد حصار دام أربع عشر شهرا[3]. وقال اليفرني بعد حصار دام خمس عشر شهرا وبعدم علم أهلها أن لا نجاة لهم إلا بالانقياد، خرجوا بشيوخهم وأشرافهم طالبين العفو من السلطان وبسط هذا الأخير يده لهم ودخل فاس في 19 رجب 1084[4].

2. التاريخ الاجتماعي:

تناول الأسير مويط في مذكراته بعض التفاصيل والأحداث الاجتماعية الجديرة بالذكر نعرضها كالتالي:

أ_ طاعون سنة 1679:

وصف مويط حال المغرب بعد اجتياح هذا الطاعون له حيث أهلك نصف الشعب المغربي ، لم يسلم منه الأسرى أيضا فقد أصيب من المئتين خمسين شخص لم ينج منهم سوى ثلاثة ،ولكنه لم يكن بمعدل إصابة البيوت المغربية حيث اعتبر مويط هذا الطاعون إشارة ربانية انتقم بها الرب لهم على سيدهم الأسود الذي كانوا يعانون من شدة قسوته وتجاهل الملك عند المطالبة بحقهم[5].

---

[1]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص 27.

[2].محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص 59.

[3].ابو القاسم الزاني: البستان الظريف في مفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، المصدر السابق، ص148.

[4].محمد الصغير اليفرني: المصدر السابق، ص68.

[5].جرمان مويط: المصدر نفسه، ص39

ب_ ظاهرة اصطياد الأسود:

كانت جبال مدينة سوس غنية بالأسود وكان المغاربة يصطادونها بنصب مصائد على شكل مطمورتين محفورتين في الأرض ومتصلتين ببعضهما بثقب ، يضعون في بداية الأولى فخا مربوط في محور متأرجحا و يضعون على هذا الأخير كبشا ميتا، وعندما يشم الأسد رائحة اللحم يهم لأكله ومع وضع رجليه الأماميتين في الفخ ينقلب على رأسه في المطمورة الأولى ، أما المطمورة الثانية ففيها صندوق كبير على شكل مصيدة يوضع في داخله قطعة من لحم الضأن ويبقى مفتوحا من جهة الثقب حتى إذا جاع الأسد دخل الصندوق وسجن، ثم يرفع بالحبال المشبوكة في حلقات الصندوق ثم ينقل الأسد مربوطا فوق دابة إلى أول قائد يتسلى بمشاهدة قتله[1].

ت_ وشم الزينة:

أشار مويط ضمن حديثه في قصص فرار الأسرى عن عادة المغاربة في وسم أبنائهم منذ طفولتهم بعلامات زرقاء وهو ما يعرف بالوشم في وقتنا الحالي، وهي مغروزة في الجلد ومصبوغة بالنيلة، ويتجمل بها النساء أيضا في ذقونهم والبطن والذراعين[2].

ث_ القضاء عند المغاربة:

أشار مويط بدايةً إلى أن في كل مدينة حكام "قضاة" مختلفون، فهناك القاضي الذي يحكم في المسائل المتعلقة بالشريعة، والعامل الذي يحكم في المسائل المدنية و الجنحية، والحاكم الذي يتدخل في الشرطة فقط، أيضا قاضي التجار والذي يسمى "المحتسب"[3] فإذا حدث خلاف بين الأشخاص في مختلف هذه المسائل يتم دعوة الخصوم في يوم واحد أمام أحد من ألائك الحكام على حسب القضية، مع الشهود إن وجدوا، وعليهم ألا يتأخروا أو يتخلفوا عن ذلك الموعد إلا إن هناك عذر

---

[1]. جرمان مويط: المصدر السابق،ص45.

[2]. نفسه، ص56.

[3]. وهو المعين من طرف السلطان، ويختار من أسرة فاسية عريقة، يراقب الموزين والمكاييل وبائعي التقسيط، ويحدد أثمان المواد الغذائية وأماكن بيعها. ينظر: محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير متناهية، جزئين، تح: إدريس بوهليلة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1،المغرب، 2005م،ج1، ص41.

مشروع وإلاَ يأمر القاضي بجلبهم وجلدهم كعقوبة لهم. وإن كانت مسألة الخلاف مدنية وثبت على المدعي عليه بالشهود، عليه أن يؤدي ما عليه وإلا يسجن ، وإن لم يكن هناك شهود يرسل المدعي عليه إلى المسجد لأداء اليمين بأن لا شيء بذمته وتنتهي القضية، أما إذا كانت مسألة الخلاف سباب بين شخصان يحكم على المدعي عليه بالجلد وأداء غرامة مالية لصالح القاضي. أما إذا كانت مسألة غش في الميزان والمكاييل من قبل التجار وخاصة الجزارين ، فإن الغشاش يجرد من ثيابه ثم يعلق على رقبته شيء من بضاعته ويديه إلى ظهره ويطوف به الجلاد في أزقة التجارة خاصة ليعلنوا عن جرمه، ثم يأخذ به إلى المحتسب ويحكم له بمصادرة كل ممتلكاته لصالح الملك ويلقي به فالسجن لمدة معينة. ويثمن مويط هذه الطريقة في معقابة التجار الغشاشين لما لها أثر بالغ في ردع بقية التجار عن خيانة الناس[1].

***أنواع العقوبات في القضاء:**

يفصل مويط في أنواع العقوبات المقررة من الحكام الثلاث بالنسبة للمجرمين واللصوص، فإن المجرمين تقطع رؤوسهم مباشرة ويسحبون في أذيال البغال كذلك بالنسبة لخونة الملك وترمى جثثهم في المزبلة ، أما الزناة فيعاقبون بالرجم، والقتلة يعدمون، أما السكرة فيجلدون ويطالبون بدفع غرامة و إن كان ذلك في شهر رمضان يقتلون مباشرة مراعاة لحرمة الشهر[2].

3.التاريخ الثقافي والعمراني للمغرب الأقصى الحديث:

أ_المجال العمراني:

وصف مويط العديد من المدن بما فيها من بنايات وقصور، كان قد زار بعضها وأخرى سمع عنها من أناس تقاة حسب قوله. فوصف كل من مدن سلا الثلاث (سلا و الرباط و القصبة) في عهد المولى الرشيد و مدينة تطوان و مكناس ومراكش وغيرها من المدن على ما كانت عليه في عهد المولى إسماعيل.

---

[3].جرمان مويط: المصدر السابق، ص ص126 .127.

[2]. نفسه، ص127.

1_مدينة سلا :

هي مدينة حصينة مشيدة على ضفة مصب أبي رقراق[1] المنحدر من جبال الزوايا (الدلائية) الذي يقسمها إلى شطر شمالي يسمى "سلا" يقيم به كبار التجار اليهود والمغاربة وشطر جنوبي يدعى " الرباط" وهو أكبر بكثير من الشطر الأخر .يحيط بها أسوار متينة وقديمة يذكر مويط أن بناءها يرجع إلى عهد الموحدين على يد الأسرى المسيحين ،علوها عشرة أدرع مجهزة بشرفات ومحصنة ببروج مربعة متينة، مبنية بالتراب الأحمر المقوى بالجير على الطريقة المغربية ، يوجد بها بساتين كبيرة جدا تكفي لتغذية ألف وخمسمائة شخص حسب تقدير مويط[2].

ويذكر صاحب كتاب "الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين" أن هذه المدينة سمية نسبة لملك اسمه سلا من الملوك القدماء كان قد بناها [3].

تحتوي هذه المدينة على قصبتين قديمة و وحديثة ، أطلق عليها الدكالي تسمية القصبة الإسماعيلية حيث بناها هذا الأخير بقصد الحماية وتحصين المدينة[4]، أما الأولى فهي مبنية على مصب أبي رقراق مباشرة، ترتفع بجانبه تلك الأسوار الشاهقة مبنية بالحجر المنحوت ، قائمة على صخور وبناءها غير منتظم بشكل معين مع عدة أبراج ويذكر مويط أن المولى إسماعيل جدد بناءها. ليس بها ماء صالح للشرب على غرار القنوات التي توزع الماء المطر المتساقطة في الشتاء أما البئر فماءه مالحة لا تصلح إلا للبهائم ، مدخلها الرئيسي باب من الخشب أمامه برج عال تعتليه مدافع موجهة للمدينة ،بجانبه نصبت فيه خمسة مدافع لحماية المرسى والسفن القرصانية، ويربط بينه وبين القصبة درج تحت الأرض. كما أشار مويط إلى أن جل هذه الأسوار ليست عالية جدا ويمكن

---

(1). نهر أبي رقراق يعدّ أهمّ المسّطحات المائية في المغرب، حيث ينبع من جبال الأطلس المتوسط ويجري مسافة تفوق 240 كلم قبل أن يصب قرب مدينتي الرباط وسلا، وهو يقع في منطقة استراتيجية هامة جدا حيث يمثل قاعدة محورية في العلاقات التجارية والاقتصادية، وعسكرية أيضا حيث قامت به مؤسسة الجهاد البحري السلاوي. ينظر:حسن أميلي، الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر ميلادي، دار أبي رقراق، ط1، 2006، الرباط، ص ص16.18

(2).جرمان مويط: المصدر السابق، ص17.

(3).محمد بن علي الدكالي: الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، تح: مصطفى بوشعراء، الخزانة العلمية الصبيحية، ط2 ،سلا-المغرب، 1996م، ص34.

(4).جرمان مويط: المصدر نفسه، ص75.

تسلقها بسهولة خاصة وأنها مملوءة بالتراب من الداخل أما الأرضية في الخارج فكلها مزابل واكداس من التراب مما جعل دخول القصبة سهلا. أما القصبة الجديدة فهي تقع في الجنوب الغربي، مربعة الشكل متينة ومحصنة ببروج مجهزو بشرفات مسننة بداخلها اثنا عشر مدفعية من البرونز، وفي شقها الغربي حصن" البستيون" على صخرة في شاطئ البحر، الأمر الذي يسهل اقتحام هذه المدينة، خاصة وأن أبواب هذه المدينة لا تغلق ليلا، كما أن شهر أفريل هو الوقت المناسب حيث يخرج قراصنتها للبحر ولا يبقى بها سوى الأطفال و الشيوخ، ويمكن أن ينزلوا في منطقة "فضالة" التي تقع على بعد اثنا عشر فرسخا من جنوب غرب سلا حيث أن الطريق المؤدية للمدينة مستوية تمام، كما أن في داخل أسوارها مساحة كبيرة فارغة صالحة للزراعة حيث ينوه مويط إلى أنه مكان مناسب لوضع حامية من خمسمائة فارس في حال تم اقتحامها[1].

إن هذا الأسير يحرض بشكل واضح على اقتحام المدينة بالتجسس على أدق تفاصيلها وهي صفة الكثير من الأسرى سواء من الذي كتبوا مذكراتهم أو غيرهم.

2.بيوت المغاربة في فاس القديمة والجديدة:

هي بيوت مبنية بشكل مربع مغطاة بسطح بها أربعة غرف عادة أبوابها مفتوحة في الوسط وليس بها نوافذ، يتوسطها فناء به بئر عادة، أما دور الأمراء فيكون هذا الفناء بها واسعا وبه حوض سمك تحيط به أشجار البرتقال والليمون. وهناك دور تتركب من طابقين بها أروقة قائمة على أعمدة من رخام أو حجر منحوت مع درابزين[2] من الخشب مفتول ومصبوغ بألوان مختلفة وجوائز الغرف

---

[1].جرمان مويط:المصدر السابق، ص 18.20.

[2] .يعتبر الدرابزّين من المكملات المعمارّية التّي تجمع بّن الوظّيفة والجمال. وقد استخدم لصناعة الدرابزّين العديّد من الخامات مثل الخشب والخرسانة والحدّد وغّرها، شاع استخدام هذا المصطلح كمفرد من مفردات السلم فقط وبالبحث والتعمق فّي هذا المجال وجد أن مّا قابل هذا اللفظ فّي لغات كثيّرة ستخدم فّي أكثر من حالة وأكثر من مكان ولّيس للسلالم فقط وفّي أحد المراجع الهندسّة المعمارّة الشهّيرة نجد أنهّ تم الإشارة الى حاجز الأمان للسلم بكلمة guardrai وّتم تقسّيمه الى جزئّين أحدهما السور الجانبّ والذي تتنوع خاماته وأشكاله والآخر يسمى (balustrade) أو الدرابزّن، والآخر الكوبستة أو مّا يقوم المستخدم بالإمساك به أثناء الصعود والهبوط وّسمىhandrail .ينظر:حسام الدين فاروق النحاس وآخرون، اعتبارات تصميم الدرابزين الزجاجي في العمارة، في مجلة العمارة والفنون، ع05، ص03

كذلك، وتحتها حزام من الجبس دائر حولها علوه ثلاثة أشبار منقوش عليه أزهار بالفسيفساء، ويوضع في الأسفل حزام أخر من مربعات مصبوغة بألوان تمثل كل أنواع الزهور. اما أبواب الغرف بها دفتين وتبقى مفتوحة غالبا لأنها ترفق بستر حريرية مطرزة. وفي طرف الأبواب منصات من خشب الصنوبر يوضع عليها فرش الأمراء من حصير مصبوغ وعدة زرابي كبيرة مثل زرابي تركيا، وعليها حواشي من الصوف مبطنة من جانب بثوب من حرير مقطع بأشرطة مختلفة الألوان ومن أخر بقماش قطن مع وسادة مملوءة بالصوف، و أغطية يستعملونها عند النوم من قماش هولندي أو بريطاني، كما يضعون فراش زوجاتهم في طرف أخر من الغرفة حيث يقصدونهن عند الحاجة، أما دور الفقراء تصنع من القصب كالأكواخ، وفراشهم حصير مغطى بجلود الغنم وكساهم من الصوف، ومطابخهم بها كوانين من أجر أو الحجر وليس لهم مداخن لها سوى أنهم يتركونها تحت الجزء المفتوح من السطح يخرج منها الدخان لاسيما أن مساكنهم ليس بها نوافذ[1] .

3.مملكة مراكش:

وهي تتكون من خمسة أقاليم :مراكش وتادلة ودكالة وحاحة وقسم من جبال الأطلس، وهي مدينة كبيرة واقعة على سهل كبير به نخيل ذو ثمار ممتازة جدا، بها ستة عشر بابا لكنها ليست مليئة بما يناسب كبرها بسبب محنة الطاعون الذي أهلك عدد كبير من السكان. بها أفخم قصر بأفريقيا مخصص لنساء السلطان المولى الرشيد، بني في عهد المنصور الذهبي، مساميره ومزالجه ومساحيقه والأقفال كلها من الذهب والفضة، وفي مساكن الحريم قاعات طويلة وفسيحة سقفها مركب به مرايا كبيرة. وهذا القصر مزدان بكمية من السواري وأحواض المرمر الأبيض، مع عدة زخارف جميلة من الجبس، ومربعات صغيرة مصبوغة ومنقوشة بالمطرقة. وبساتين في شكل ممرات من شجر البرتقال والسرو، وتحيط بكل من الصرح والقصر والبستان أسوار محصنة ببروج جميلة لكنها بدون مدفعية، وتمر قنوات سير الماء من مسيرة يوم كامل بجانب هذا الصرح لتزوده بالماء كما تزود المدينة بأكملها. كما أنها غنية بالحبوب والمواشي ،وأكثر حرارة لأنها متوغلة في الجنوب[2].

---

[1]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص 27.

[2].نفسه، ص44 43.

4.مملكة سوس:

هي مدينة يحدها إقليم درعة من الجنوب الشرقي ومملكة السودان من الجنوب الشرقي والغربي، والبحر من الغرب والشمال الغربي، ومملكة مراكش من الشمال إلى الشرق. وهي تتكون من إقليمين سوس والساحل ومدنهما هي تارودانت وأكادير و إليغ، وهي منقطة مليئة بالقصبات الجيدة، سكانها مشهورون بامتيازهم في استعمال الأسلحة من بين كل المغاربة. وجبالها مليئة بالحبوب والثمار والشمع، بها مناجم غنية بالنحاس والذهب، لا ينقصها إلا الصوف، كما أن بها أسود كثيرة كان يصطادها المغاربة[1].

5.مدينة القصر الكبير:

وهي عاصمة الغرب تقع على الضفة الغربية لواد اللكوس في مستنقع يبعد عن العرائش بخمسة فراسخ وعن سلا بخمسين وعن مكناس بخمسة وعشرين. في ضواحيها عدة مروج جميلة وعدد من البساتين منتشرة على جانبي النهر، ولها أسوار قديمة لا تغني في الدفاع عنها، دورها غير جيدة البناء وبها عدد من أكواخ القصب يسكنها الفقراء، ويكثر فيها الحبوب والسمن والصوف والعسل والجلود والشمع والثمار وكذلك اللحم[2].

6.مدينة مكناس:

وهي مدينة يحدها من الشمال ثلاثة من جبال زرهون ومن الجنوب ثلاثة من جبال صفرو الأطلسية، تبعد عن مدينة سلا بخمسة وعشرين فرسخا من الغرب وعند فاس باثني عشر[3]، فرسخا[4] وهي حوالي 42ميل حسب ما ذكره مويط في كتابه "فتوحات المولى الرشيد والمولى

---

[2]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص 49.

[1].نفسه، ص 49.

[3].نفسه، ص52.

[4].من مقاييس المسافة قديما، وهو يقدر بثلاثة أميال والميلُ بالكسر: المِلْمُولُ، وقَدْرُ مَدِّ البَصَرِ، ومَنارٌ يُبْنَى للمُسافِرِ، أو مسافةٌ من الأرضِ مُتَراخِيَةٌ بِلا حَدٍّ، أو مئةُ ألْفِ إصْبَعٍ إلا أربعةَ آلافِ إصْبَعٍ، أو ثلاثةُ أو أربعَةُ آلافِ ذِراعٍ بحَسَب اخْتِلاَفِهِمْ في الفَرْسَخِ،

إسماعيل"، أما المسافة المحددة الان بين المدينتين تقدر ب60 ميل ويرجع هذا الاختلاف مبني على المتعارف عليه عند أهل كل وقت أو ناحية في قدر الميل[1].

تربتها خصبة تكثر فيها جميع أنواع الحبوب والمواشي والبساتين، هوائها معتدل جدا وأصح بكثير من هواء مدينة فاس، بنى بها المولى إسماعيل حصنا كبيرا وقصرا ودور للحريم على نفس طراز أبنية فاس. ولهذا القصر ثلاثة أسوار محاطة ببروج مربعة ومسننة ويوجد بين السور الأول والثاني مساحة مربعة كبيرة تدعى "الروى مزين" ،أما السور الثالث فهو سور الحريم وهو أعلى بكثير من الأخرين، وهناك ثلاثة أبواب: الباب الرئيسي ويسمى "باب القلعة" وعلى جانبيه برجان عاليان، والباب الثاني يسمى "باب الحجر" لأنه مبني بالحجر المنحوت، والثالث يطل على المدينة ويسمى باب المدينة. تحتوي أيضا على حديقة بها أسود تقع بين أسوار عالية، ذكر مويط أن بينها وبين مقام الأسرى جدار عرضه ثلاثة أشبار فقط لا يحميهم من خطرها حيث حدث أن نهشته الأسود وكادت أن تدخل لسجنهم ليلا[2].

ويذكر ابن زيدان أن اهتمام المولى إسماعيل بتحصين هذه المدينة بالقصور والحصون والأسوار المشيدة، لم يكن لجبن منه و خوف كما اتهمه بذلك الجاهلون والحاسدون وهو الذي أدرك بالشجاعة ما أدرك وبلغ ما بلغه، وإنما كانت الغاية من جهوده بقاء المدينة في اطمئنان وامان في حالتي السلم والحرب، إذ لم يبقى في المدينة سارق ولا قاطع عليه شيء ولم يأخد جزاءه[3].

7.مدينة تطوان:

وهي مديمة مشيدة على صخرة متينة بها أسور منيعة ،سكانها كلهم من الأندلسيين المهجرين من إسبانيا وهم في غاية الثراء بسبب نشاط القرصنة البحرية أو التجارة مع الجزائر وسبة وطنجة، مع

هل هو تِسْعَةُ آلافٍ بذراعِ القُدَماءِ، أو اثنا عَشَرَ أَلْف ذِراعٍ بِذِراعِ المحْدَثِينَ.ينظر: عبد الله بن سليمان المنيع، تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة، في مجلة البحوث الإسلامية ، ع59، ص08

[1].ابن زيدان السجلماسي: إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ص 46.

[2].جرمان مويط: المصدر السابق، ص ص 52.72.

[3] .عبد الرحمان ابن زيدان : الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، المرجع السابق، ص 174.

فئة من اليهود المقيمون في جهة البحر ،بها سهل كبير تقدر دائرته بخمسة فراسخ به عدة بساتين وكروم وتحيط به جبال صخرية حصينة جدا و يتوسطه نهر كبير. تصدر من هذه المدينة كميات كبيرة من الشموع والجلود والعنب الدمشقي إلى أوروبا[1].

ب. المجال الثقافي:

1.عادات الأكل :

تحدث مويط عن وجبة الكسكسو أو الكسكس وهو طعام المغاربة المعروف حتى يومنا هذا وقد وصف كيفية فتله وإعداده بإسهاب، حيث يتم تحضيره من الدقيق يضعون بداية حفنة أو حفنتين منه في قصعة من خشب أو طين ويضعون عليها الماء الصافي بواسطة مغرفة كبيرة ثم يحرك ذلك الدقيق جيدا مع إضافة الماء بين الحين والأخر إلى أن تتكون حبيبات دقيقة، ثم يغربلونه بوسطة غربال ليتأكدوا من انه لم يتبقى دقيق غير مفتول. وعند طهيه يوضع الكسكسو في وعاء من نحاس واسع من الأعلى وضيق من الأسفل به عدة ثقوب ، فوق قدر به لحم غنم او بقر، وتلف بين القدر والوعاء خرقة مبللة تمنع البخار من التسرب. ثم يسحب عند استوائه ويفتت في قصعة ويدهن بالسمن ثم يصب عليها مرق ولحم القدر[2].

2.الأعياد والمناسبات :

أشار مويط ضمن حديثه عن محن ومعاناة الأسرى إلى الأيام السبعة التي تمثل المناسبات والأعياد الإسلامية في كل سنة والمسيحية أيضا، والتي ينال فيها الأسرى قليلا من الراحة من العمل.

بالنسبة للأيام لإسلامية فهي ثلاثة ، أولها العيد الصغير(ويقصد عيد الفطر) الذي يأتي بعد صيام رمضان، وثانيها العيد الكبير (ويقصد عيد الأضحى) والذي يأتي بعد الأول بشهرين وعشرة أيام من الزمن، يضحون فيه بالأكباش تذكيرا بسنة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وحسب ما ذكره مويط فإن عددها بعدد الذكور في كل أسرة، واليوم الثالث، مناسبة المولد النبوي الشريف والتي يأتي

[1].جرمان مويط: المصدر نفسه، ص76.

[2].نفسه، ص 29.

بعد ثلاثة أشهر. أما الأيام المسيحية فهي أربعة، عيد ميلاد المسيح و عيد العنصرة وعيد الفصح وعيد ميلاد العذراء[1].

و يذكر مويط أنهم كانوا يطلبون هذا الأخير من ساداتهم و يخصصونه للدعاء وترتيل الزبور وأناشيدهم الدينية[2].

والملاحظ هنا أن الأسرى المسيحيين لم يكونوا مضطهدين من حقوقهم ، والدليل أن المسلمين لم يتعصبوا لدينهم ويمنعوا الأسرى من ممارسة شعائرهم ولا الاحتفال بمناسباتهم وأعيادهم، والسؤال مطروحا هنا هل حضي أسرى المسلمين عندهم بهذا أم لا؟

3.عادات الزواج :

أشار مويط ضمن حديثه عن الأسرى في وليمة الزفاف إلى تفاصيل ذلك اليوم، حيث تحمل العروسة على عرش صغير مغطى بثوب من حرير بواسطة عشرة من أسرى الخواص المستأجرين لحملها حتى بيت زوجها ثم ينصرفون بعد ما تقد لهم أرغفة خبز وقطع من اللحم .تزف بالمزامير والطبول على طول الطريق وعند وصولها ينفرد بها الزوج في غرفة خاصة في حين تدخل كل النساء إلى غرفة أخرى ولا يخرجن منها حتى يخرج لهن العريس بعد ما تأكد من عذرية عروسته ويخبرهن أنه يقبلها كزوجة وتبدأ الأهازيج والطبول مجددا، وفي حال لم يتأكد من ذلك يجردها من كل ما قدمه لها من ثياب ويسلمها إلى قريباتها ليعدن بها لأهلها فيقتلونها. ولا يحدث هذا عندما يكون زواج أقارب

---

[1] . عيد القيامة ويسمى عيد الفصح، وهو أهم أعياد النصارى السنوية، ويسبقه الصوم الكبير الذي يدوم أربعين يوماً قبل أَحَد الفصح، وهذا العيد يحتفون في ذكراه بعودة المسيح – عليه السلام – أو قيامته بعد صلبه وهو بعد يومين من موته – على حد زعمهم . أما عيد ميلاد المسيح – عليه السلام – وعند الأوروبيين يسمى عيد الكريسمس وهو يوم (25 ديسمبر) عند عامة النصارى، وعند الأقباط يوافق يوم (29 كيهك) والاحتفال به قديم ومذكور في كتب التاريخ قال المقريزي: وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر إقليم مصر جليلاً تباع فيه الشموع المزهرة وكانوا يسمونها الفوانيس. ينظر: إبراهيم بن محمد الحقيل، أعياد النصارى، في موقع مداد http://midad.com/، تاريخ الإبحار 05/25/2021 على 14:32.

[2]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص55.

لتجنب الفضيحة فيقوم العريس بدل ذلك بذبح حمامة على سرواله ويلقي به في الخارج كإشارة على عذريتها[1].

4: التاريخ الاقتصادي:

يشير الأسير جرمان مويط إلى أنه كانت هناك معاهدات تجارية بين فرنسا ومدن المغرب الأقصى الغنية في حالات السلم بينهما، والتي ازدهرت فرنسا بفضلها وبجهود الوزير الفرنسي "كولبير" الذي طور وأزهر المملكة بذكائه وفطنته، حيث حول فرنسا من بلد يستورد كثيرا و غير مكتفي ذاتيا إلى أسعد وأغنى بلد في العالم. كما تطرق لعمليات التبادل التجاري التي كانت بين الممالك المغربية وبلاد السود، وأهم ما يجب أن يعرفه التاجر القادم إلى المغرب من معلومات تفييده بعد تطرقه للمدن البحرية التي كانت تتم على مستواها التجاري، نلخص كل هذا كالتالي :

أ_ المدن التجارية في المغرب الأقصى الحديث:

استهل مويط حديثه عن هذا الجانب بذكر المدن البحرية التجارية مشيرا إلى الاحتياطات التي يجب أن يأخذها الفرنسيون عند قدومهم لها.

1_تطوان:

التي تبعد على بعد سبعة فراسخ من جبل طارق[2]، يتم الدخول إليها بواسطة نهر مارتين الصغير وهو اسم لمدينة قريبة من تطوان، ويسده جرف رملي صعب يرغم الزوارق التجارية الصغيرة على إفراغ

---

[1] . جرمان مويط: المصدر السابق، ص 62.

[2]. وهو عبارة عن شبه جزيرة ضيقة تمتد جنوبا من الساحل الجنوبي الغربي لإسبانيا، ويصله بهابرزخ يناهز طوله 1,2كلم ويقابله على الجانب الآخر من الخليجِ ميناءُ الجيسيراس الإسباني على مسافة 8كلم غربا، وتقع قارة أفريقيا على مسافة 32كلم جنوب مضيق جبل طارق، تبلغ مساحته 5,8كلم ، وهو ماتزال القضايا المتصلة لبرزخ والمياه الواقعة قبالة سواحل جبل طارق موضع نزاع. ينظر: مجهول، جبل طارق، الأمانة العامة للجنة الخاصة المعنية بحالة تنفيذ إعلان منح الاستقلال للشعوب المستعمرة، الجمعية العامة للولايات المتحدة، 14 ماي 2001،ص03.

حمولاتها عند الدخول والخروج أما السفن الكبيرة فإنها تبقى في المرسى[1].

2_أصيلا:

المشيدة على صخرة بقرب من البحر بها جوين يستعمل كميناء تؤوي لزوارق الصيادين والسفن الصغيرة التجارية[2].

3_القصر:

المشيدة قرب نهر اللكوس على بعد خمسة فراسخ من مدينة العرائش التي تحمي مصبه، ترسو الزوارق الإقليمية وسفن الإبحار بنهر تاكدارت[3]، ومنه تنقل البضائع إلى مدينة القصر عبر الجمال والبغال.[4]

4_المعمورة:

وهي من أفضل الثغور التجارية بفاس إذ بها نهر عميق يستوعب سفن محملة من الميناء ب 300برميل ، تقع في مدخل واد "سبو" وهي مشدة على مرتفع كانت محتله من قبل الإسبان حتى حررها المولى إسماعيل منهم سنة 1681م[5].

---

[1]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص138 .

[2]. نفسه،ص 138.

[3]. والمسمى تاهدارت وهو نهر جنوب طنجة تنحدر مياهه أصلا من جبل ودراس.. وهو يتكون من نهرين : نهر المهرهر الذي يعرف في منبعه بفندق العين الجديدة .. ونهر يعرف عند منيعة بجبل الريح بوادي الخروب ثم تتجه مياهه نحو الجنوب الغربي الى أن يصب في المحيط بالمرسى التي تحمل اسمه ، مارا بقرية المرس بين بريش الشمالية وأختها الجنوبية ، وطوله 65 كيلومتر، وأول من ذكر تاهدارت أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس. ينظر: العتيق، تاهدارت في معلمة المغرب، في موقع تاريخ وحضارة المغرب https://montadajbala.ahlamontada.net، تاريخ الابحار في 25/05/2021 على 09:59.

[4] جرمان مويط: المصدر السابق، ص ص 138.139.

[5]. نفسه، ص 139

5_سلا:

أهم مدينة تجارية يستقر بها القناصل الأوروبيين، الفرنسي والهولندي والإنجليزي مع التجار اليهود والمسيحيين، مشيدة على وادي أبي رقراق الذي ينعته مويط بنهر"كرو" [1].

كما أكد "روجي كواندرو" في كتابه " قراصنة سلا" نقلا عن "مارمول كرابخال" ، بأن سلا كانت مركزا نشيطا للتجارة والاعمال منذ القرن الثالث عشر حيث كانت الميناء الأكثر غنى ويسر للملكة فاس تصدر أهم منتوجاتها للبندقية و جنوه [2].

6_أزمور:

وهي قريبة من سلا، تقع على مصب أبي الربيع وهي ليست مهمة بمكان في تجارتها بسبب جرف رملي في خارجها بحيث لا تتمكن من دخولها إلا الزوارق الصغيرة[3].

7_أسفي:

والتي لها نفس الاهمية التجارية التي لمدينة سلا، وهي قريبة من أزمور من الناحية الجنوبية، تقع مباشرة على شاطئ البحر عند مصب "كوديت"[4].

8_أكادير" سان كروا":

وهي تابعة لإمارة سوس، كان أميرها مولاي بن محرز وقد اعتبرها مويط أحسن من كل المدن التي سبق ذكرها لجودة وطيب مستورداتها الأكثر رواجا في أوروبا [5].

---

[1].جرمان مويط: المصدر السابق، ص139

[2]. روجي كواندرو: قراصنة سلا، تر: محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي، د.ع.ط، جامعة محمد الخامس، د.ت.ط، ص28.

[3].جرمان مويط: المصر نفسه، ص142.139.

[4]. نفسه، ص142.

[5].نفسه، ص 142.

ب. عمليات التبادل التجاري بين المغرب مع أوروبا:

1_البضائع المصدرة إلى أوروبا:

إن جملة المواد المستوردة من المدن المغربية التجارية المذكورة سابقا في مجملها متمثلة في:

التمر وريش النعام والنيلة وتراب الذهب المسمى بالتبر والتي كانت تأخذ من أقاليم مملكة تافيلالت، كما ترسل إلى موانئ البحر كمية من الجلود المدبوغة والغير مدبوغة [1] والعنب الدمشقي وسبائك النحاس والشمع والقصدير والصوف مع جلود الماعز لصنع الحقائب. ويشير مويط هنا أن بيع الحبوب والخيول والدواب في هذه الممالك المغربية كان ممنوعا إلا إن كان مقابل عتاد حربي من أسلحة وبارود.[2]

2. البضائع المستوردة من أوروبا:

يعتبر مويط أن هذه المواد كثيرة لا تعد ولا تحصى، ذكر منها:

الأقمشة الرقيعة من الحرير والصوف مختلفة الأوان، "كالديباج" و"القطيفة" والقماش القرمزي مع وشاحات من حرير وأقمشة أرى من إنجلترا و سي كوفية، وأنسجة من هولندا وبريطانيا وثياب موصلية لصنع العمائم، وبهارات وعقاقير مختلفة الأنواع مع القطن وتبغ البرازيل وبوردو، والسكر وشجر البقم، والدردي والشب والكبريت، والورق بجميع أصنافه، والفولاذ والحديد والرصاص، إضافة إلى السكاكين و المقصات والدبابيس والابر والأقفال والمرايا ومشط البقس والعاج ذات الأسنان الدقيقة. ناهيك عن الأسلحة التي تستورد يوميا لصالح القراصنة وتجهيزهم رغم مراقبة الكنيسة وملوك الدول الأوروبية، و يرجع مويط هذا إلى أن التجار كان لا يهمهم إلا المال، ولا يهمهم من أي

---

[1]. كانت الدباغة من أعظم الحرف بسلا والرباط، وإتقانها في الدبغ وصبغ الجلود وتلوينها وكيفية وصنع النعال منها، ينظر: محمد بن علي الدكالي: المرجع السابق، ص46.

[2].جرمان مويط: المصدر السابق، ص 144.

طريق[1].كما أشار إلى أن عملية التبادل اتجاري يؤدي عنها التاجر عشرة بالمائة للدخول والخروج كواجبات لملك، واثنان بالمائة للقنصل، كما أن هؤلاء القناصل والتجار المسيحيين المقيمون في المغرب يقومون بشراء الغنائم المتمثلة في الخمور وماء الحياة والجعة والبرتقال والزيوت واللحوم والسمك التي كانت موجه إلى أمريكا، التي يغنمها قراصنة المغرب من سفن المسيحيين بأرخص الأثمان ويعيدون بيعها في أوروبا بأثمان باهضه[2].

أ_ عملية التبادل التجاري بين المغرب و السودان:

وصل نطاق التجارة بين أعراب المدن المغربية "تافيلالت" إلى حد ممالك السودان، تنبكتوا وغينيا، بل إلى أبعد من ذلك إلى الحدود بين هذه الممالك و بلاد السود حيث كانوا يستعملون فيها الجمال المحملة بالملح ليتقايضوا بيه مع السود مقابل التبر ، وقد وصف مويط هذه العملية واعتبرها مثيرة يمنع فيها استعمال الكلام. نلخصها كالتالي:

إنَّ عند وصول الأعراب لتلك الحدود يتجمعون عند مسكن حاكمها، ويلتقون هناك بأعرابي هو الوحيد الذي يكلمونه حيث يصف لهم عملية التبادل تلك ويحذرهم من الكلام مع السود عند مقايضتهم و كل ما يجب فعله، بعدما يقوم بتسجيلهم وكمية الملح التي بحوزتهم، و تتم العملية بأن يرسل الحاكم حراسه بالحصر الممدودة على الأرض ليضع الأعراب أكداس الملح التي لديهم ويبتعدوا عنها ثم يقترب السود المحتاجون للملح من هذا الحصر، يتفحصونه ويميزون بينه وبين ما لديهم من تبر فإذا كان الكيل مناسبا يضعون بجانبه التبر وينسحبون، وفي حال لم تعجبهم أكداس الملح يضعون ذهبهم بالقرب منها ليأتي صاحب الملح يزيد أو ينقص منه حتى يتفقوا،وهكذا تتم المقايضة بالإشارات فقط دون كلام، ولا يحدث فيها اضطرابات ولا مشاكل من الطرفين وإن حدث أن اعتدى هؤلاء السود على التجار تكون عقوبتهم بأن يعلقون من أذقناهم على عصي مدببة وتبقى

[1].جرمان مويط: المصدر السابق، ص 144.145.

[2] .نفسه، ص 139.

هكذا إلى أن تسقط أعضائهم حتى الموت، وإن حصل العكس يجرد الأعراب من ملحهم ودوابهم لصالح الحاكم ويجلدون خمسمائة جلدة. كما يقوم هؤلاء الأعراب ببيع التبر إلى المسلمين واليهود ويبعثون به إلى سكان مراكش وتارودانت، وهم بدورهم ينقلونه إلى كل من سلا وأكادر وأسفي[1].

ب_ احتيالات بعض التجار المسيحيين في المغرب:

تحدث مويط عن بعض التجار المسيحيين المحتالين الذين يتقاضون أموالا كبيرة تعطى لهم من أجل فدية المأسورين في المغرب وخاصة منهم أبناء الأسر الكبيرة و الأثرياء، حيث كانت هذه العائلات الثرية التي كان لديها أحد الأسرى في المغرب قد عهدت إلى تاجر مسيحي مقيم في أحد موانئ البلاد بالمال الكافي للتفاوض على إطلاق سراح المعتقل التعساء، واتضح أن معظم التجار فشلوا في المهام الموكلة إليهم وقاموا بتحويل المبالغ المستلمة إلى أنشطة أخرى[2]. حيث يحول هؤلاء التجار المال إلى بضائع يرسلونها إلى معارفهم في سلا وتطوان وغيرها من المدن المغربية وهؤلاء بدورهم يبيعونها و يشترون بها سلع أخرى يتاجرون بها في إسبانيا والبرتغال. في نفس الوقت يبعثون برسائل يطمئنون فيها أهالي الأسرى بأنهم يسعون جاهدين في تحرير معتقليهم يطالبونهم بالصبر والتريث خشية أن يطالب سادة الأسرى بمبالغ أكبر. ومن جهة أخرى يقوم هؤلاء التجار باحتجاز الرسائل التي بعث بها أهالي الأسرى يخبرونهم فيها أنهم بعثوا بفدياتهم على يد التجار، لكي لا يكشف أمرهم. وقد أعتبرهم مويط خونة متفقون فيما بينهم على رأس الأسرى المساكين الذين كانوا مضطرين

في كثير من الأحيان إلى اعتناق الإسلام يأساً من فديتهم و محاولة منهم في التخلص من قسوة سادتهم. كما أشار إلى أنه يجب الوقوف ضد هذه التجارة الدنيئة التي تجلب العار للاسم المسيحي، والاحتراز منها بأن يقوم أهالي الأسرى بتحديد مدة معينة يجب على التجار أن لا يتجاوزوها في حل

---

[1]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص143.

[2]. Ahmed Farouk: op. cit, p4

أمر الافتداء وإن حصل ذلك يتم توضيحه من قبل رسالة من الأسرى لأهاليهم يوضحون فيها أن التأخر ليس بسبب التجار وأن هؤلاء بذلوا جهدهم في ذلك[1].

ج_ توصيات الأسير مويط لمن يريد التجارة في المغرب:

تطرق مويط لهذه الجزئية بهدف أن يتعرف الذي يريد ممارسة التجارة في المغرب على عادات البلد وما يجب مراعاته لكي لا يحدث لهم خصام أو تداخل.

_ ينصح مويط التاجر المسيحي عند وصوله مباشرة إلى المغرب بزيارة العامل وتقديم هدية له بغية التودد والتقرب منه، أن يحرص التاجر على اتخاذ أصدقاء له من أقارب هذا العامل فقد يفيده في مناسبات عديدة.

_ أن يَحذر التجار من السباب أو الكلام الجارح للمسلمين وأن لا يحاول أخذ حقه بنفسه إذ لابد من تقديم الشكوى للعامل إذا تعرض للإهانة من قبل المسلمين أو اليهود، لكي يحضا بالاهتمام والتقدير.

_وأن لا ينخدع التاجر بما يظهره العامل له من مجاملة لأنه متمسك بسلطته كثيرا، كما يشير هنا إلى أن طبع المغاربة انهم قليلو الوفاء بالعهد محبون للخير ولكنهم لا يفعلونه، ليسوا أمناء ودائما ما يقولون أنهم ليسوا مسيحيين لكي لا ينقضوا أمانتهم عندما تقدم لهم شكوى من قلة أمانتهم[2] ! وهو تهجم واضح من الأسير مويط على كرامة المسلم المغربي الحر مقابل إبراز نبل المسيحيين ووفائهم للعهود.

_أن على التاجر أن يستأذن عامل المدينة عند السفر لمدينة أخرى، تجنبا لحصول العداوة بينهما.

_ أن يحذر التاجر أن يبيع المسلمين واليهود بالسلف إلا بضمانات كثيرة لأن هؤلاء معرضون للإفلاس كثيرا ولا يملكون ثروات غير منازلهم و بساتينهم! وأن لا يشتروا من اليهود بالسلف أيضا لأنهم يزيدون الثلث أو الربع في المبلغ، حيث يقِّر مويط أن المسلمين أكثر أمانة بعض الشيء من اليهود في هذا الشأن.

---

[1]. جرمان مويط: نفسه، ص140.141.

[2]. نفسه، ص145.

_ أن يكون التاجر دائما في الموعد عندما يستدعى إلى المحكمة وإلا تكون عقوبتهم الجلد أو دفع غرامة مالية كبيرة.[1]

أما عن ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين هؤلاء التجار والأسرى في وجهة نظر مويط، فقد حذر من أن يخالطوهم كثيرا لأن ذلك خطر على الطرفين وذلك في أن العامة يظنون أن الأسرى أيضا تجار وأغنياء فيطالبونهم بفديات كبيرة أو في حالة هرب أحدهم والقبض عليه يتهم التجار بأنهم شدوا على أيديهم وساعدوهم في الفرار فيرغمون على دفع تعويضات بليغة. لكن ذلك لا يعني مجافاتهم بل ينبغي التصدق عليهم و مساعدتهم في مرضهم وأمورهم ويحضرونهم في حفلاتهم وابتهاجاتهم كما كان يفعل معهم قنصل سلا السيور "أنطوان ريموند"، ويشجعهم مويط على ذلك بان الله سيبارك لهم في عملهم وتجارتهم إن هم أقتدوا بأمثاله وأن لا يقلدوا التجار السيئين الذي اعتبرهم خونة [2].

خاتمة الفصل:

وفي مجمل القول نستنتج:

_ أن الأسرى الذين كتبوا مذكراتهم في الأسر ومجمل الأحداث والتجارب التي مروا بها عنصر مهم جدا ساهم بشكل كبير في التأريخ للمغرب الأقصى من منظور مختلف غني جدا في بعض الأحيان بالتفاصيل التي لم تذكر في المصادر المغربية نفسها والتي تحتمل التصديق أو التكذيب، وخاصة تلك الأحداث التي سمعوا عنها فقط ولم يعايشوها بأنفسهم.

_ أن هؤلاء الأسرى قاموا بأدوار كبيرة في بلورة بعض الأحداث التاريخية المصيرية في المغرب الأقصى الحديث وعلاقاته الدبلوماسية خاصة.

---

[1]. جرمان مويط: المصدر السابق، ص 145.146.

[2] . نفسه، ص147.

_ أن معظم الأسرى الذين كتبوا مذكراتهم كانت لهم أهداف و دوافع إما شخصية أو دوافع سياسية أو دينية أو اقتصادية و أخطرها الجاسوسية، وفي بعض الأحيان تجتمع الدوافع كلها معا.

_استطاع الأسير مويط من خلال مذكراته أن يقدم صورة مكتملة ومزينة بما يروق له ولأهدافه عن المغرب الأقصى سياسيا و اجتماعيا، اقتصاديا وثقافيا وحتى عمرانيا.

_ إن كتابات الأسرى المسيحيين ومساهماتهم في تاريخ المغرب لا يمكن للباحث في تاريخ المغرب الأقصى خاصة والمغرب العربي الحديث عامة أن يستغني عنها وعن الاعتماد عليها، لكن يجب عليه أن يأخذ منها بحيطة وحذر بالغين وأن لا يسلم بكل ما جاء فيها لأنها قد تحمل الكثير من الميل إلى الذاتية والتعصب الديني والعقدي.

_أن من المؤسف حقا افتقار الخزانة المغربية العربية لهذا النوع من الكتابات، حيث لم يتخذ أسرى المغرب في الدول الأوروبية الكتابة وسيلة لتعبير عن حياتهم بمذكرات شخصية تشمل كل معاناتهم و تجاربهم فيها ماعدا تلك الرسائل التي كانوا يبعثون بها إلى السفراء والسلاطين يستغيثونهم من خلالها للافتداء. أم أنهم كتبوا مذكراتهم وهي مفقودة الآن! أم أن سجانيهم أتلفوها.

_ إن إصرار الأسير مويط وأسلافه من الأسرى الذين كتبوا مذكراتهم على تسجيل كل صغيرة وكبيرة وحتى ما تناقلوه ولم يعايشوه بأنفسهم خاصة تلك القصص المثيرة للأسرى أو الوصف العمراني الدقيق جدا يبين لنا مدى إصرارهم على إيصال الفكرة بكل ما أتوه من جهد لكي يستفيد منها القارئ المسيحي من العامة سواءً من أجل الإنفاق لأجل بني جلدته الأسرى من خلال وصف معناة الأسرى أو ذلك التاجر الذي ينوي على التجارة في المغرب، من خلال التوصيات المشددة في ما يجب عليه فعله وما لا يجب.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة توصلت إلى جملة من النتائج كحصيلة لهذ الدراسة يمكن حصرها فيما يلي:

_ أن السلطان إسماعيل العلوي شخصية قوية في تاريخ المغرب الأقصى عرفت بالشجاعة والشدة و الصرامة ما يستحق الذكر و يتباها به المغاربة، أما ما ورد عنه من قسوة وطغيان في وصف الأسرى وبعض المؤرخين المسيحيين له، الواضح أنه مبالغ فيه بشدة وفيه بعض المواقف التي لا يصدقها العقل وهو مجرد تلفيق ونسج من خيال مظلل، له اهداف خفية يريد أن يصل بها أصحابها إلى أغراض شخصية وغير موضوعية حسب ما أكده بعض المؤرخين المغاربة وبعض الأوروبيين المنصفين أمثال المؤرخ الفرنسي "شارل بنز" و"هنري دوكاستري" .

_ إن مسألة افتداء الأسرى كانت من القضايا المهمة التي شغلت تفكير سلاطين المغرب وملوك أوروبا كما كانت ورقة ضغط أيضا يستخدمها الطرفان في سير مصالحهم مع بعضهم، حيث لعبت دورا كبيرا في تحديد نمط العلاقات بين المغرب والدول الأوروبية. وأن المولى إسماعيل كان سلطانًا نبيلا يهمه كثيرا حال الأسرى المسلمين حيث كانت له جهود ومساعي لفدائهم بطرق ترضي الله وترضي كرامة أي إنسان مسلم حيث أنه لم يقبل فيهم مساومة بالنقود والأموال بل رأسا برأس، وشد على ذلك رغم محاولات فرنسا الكثيرة معه ولم يتوصل الطرفان لحل مرضي، وهو سبب تواجد بعض الأسرى لفترات زمنية طويلة في لمغرب أمثال سيور جرمان مويط الذي مكث احدا عشر عاما.

_ تناول الأسير "جرمان مويط" في مذكراته قصصا و تفاصيل كثيرة لا يستغنى عنها في التأريخ للمغرب الأقصى من خلال وصفه لحياة الأسرى المسيحيين ومعاناتهم في الأسر مع الأخذ منها بحذر. حيث أنه كان في أحيان كثيرة يتميز بالعصبية الدينية والتحامل على سلاطين المغرب خاصة، والعقلية المغربية والإنسان المسلم عامة، لا سيما أن هذا التصرف ليس غريبا منه لو دققنا في هدفه من كتابة هذه المذكرات والمتمثل في استنهاض همم المسيحيين لافتداء الأسرى، سنتوقع أكثر من هذا التلفيق والمبالغة في طرح الأحداث للقارئ.

_ يلاحظ القارئ لمذكرات الأسير مويط مدى المحن القاسية والعظيمة التي عاشها الأسرى المسيحيين بدءً من الأشغال المرهقة إلى سوء حال المعيشة إضافة إلى الظلم و التسلط عليهم من السلاطين. لكن هذا يتناقض كثيرا مع ما يذكره هذا الأسير في جزئيات أخرى من هذه المذكرات حيث يتبين

للقارئ مدى الفسحة التي كان فيها الأسرى وحرية التجول لدرجة قيامهم بعلاقات غرامية مع النساء المغربيات! كما أنها تتناقض بشكل مبهر مع ما ذكره مؤرخون آخرون عن حياة الأسرى في المغرب وعقلية السلاطين المغاربة معهم وخاصة المولى إسماعيل الشريف.

_حاول الأسير "مويط" أن يبين للقارئ مدى سماحة المسيحيين و روحهم الطيبة الخيرية من خلال وصف جهود جماعة "رهبان لاميرسي" التي نعت رهبانها بآباء الرحمة الذين لم يتوانوا في إسعاف بني جلدتهم والمخاطرة بحياتهم في سبيل ذلك، مقابل جشع ووحشية المغاربة المسلمين!

_ إنَّ عنصر الأسرى عنصر مهم في تشكيلة المجتمع في المغرب الأقصى الحديث، حيث كانت له مساهمات فاعلة في مختلف المجالات الحياتية فقد كان منهم النجارون والاطباء الجراحون.. ، وغيرها من المهام والأدوار التي مكنتهم من الدخول في علاقات مع المغاربة وبالتالي الاندماج جزئيا في المجتمع.

_ أن الأسرى الذين كتبوا مذكراتهم في الأسر ومجمل الأحداث والتجارب التي مروا بها عنصر مهم جدا ساهم بشكل كبير في التأريخ للمغرب الأقصى من منظور مختلف غني جدا في بعض الأحيان بالتفاصيل التي لم تذكر في المصادر المغربية نفسها والتي تحتمل التصديق أو التكذيب، وخاصة تلك الأحداث التي سمعوا عنها فقط ولم يعايشوها بأنفسهم.

_ قم الأسرى المسيحيين في المغرب الأقصى بأدوار كبيرة في بلورة بعض الأحداث التاريخية المصيرية في المغرب الأقصى الحديث وعلاقاته الدبلوماسية خاصة.

_ أن معظم الأسرى الذين كتبوا مذكراتهم كانت لهم أهداف و دوافع إما شخصية أو دوافع سياسية أو دينية أو اقتصادية و أخطرها الجاسوسية، وفي بعض الأحيان تجتمع الدوافع كلها معا. حيث استطاع الأسير مويط من خلال مذكراته أن يقدم صورة مكتملة ومزينة بما يروق له ولأهدافه عن المغرب الأقصى سياسيا و اجتماعيا، اقتصاديا وثقافيا وحتى عمرانيا.

ـ إن كتابات الأسرى المسيحيين ومساهماتهم في تاريخ المغرب لا يمكن للباحث في تاريخ المغرب الأقصى خاصة والمغرب العربي الحديث عامة أن يستغني عنها وعن الاعتماد عليها، لكن يجب عليه أن يأخذ منها بحيطة وجذر بالغين وأن لا يسلم بكل ما جاء فيها لأنها قد تحمل الكثير من الميل إلى الذاتية والتعصب الديني والعقدي.

ـمن المؤسف حقا افتقار الخزانة المغربية العربية لهذا النوع من الكتابات، حيث لم يتخذ أسرى المغرب في الدول الأوروبية الكتابة وسيلة لتعبير عن حياتهم بمذكرات شخصية تشمل كل معاناتهم و تجاربهم فيها ماعدا تلك الرسائل التي كانوا يبعثون بها إلى السفراء والسلاطين يستغيثونهم من خلالها للافتداء. أم أنهم كتبوا مذكراتهم وهي مفقودة الآن؟ أم أن سجانيهم أتلفوها بسبق الإصرار و الترصد؟

ـ إن إصرار الأسير مويط وأسلافه من الأسرى الذين كتبوا مذكراتهم على تسجيل كل صغيرة وكبيرة وحتى ما تناقلوه ولم يعايشوه بأنفسهم خاصة تلك القصص المثيرة للأسرى أو الوصف العمراني الدقيق جدا يبين لنا مدى إصرارهم على إيصال الفكرة بكل ما أتوه من جهد لكي يستفيد منها القارئ المسيحي من العامة سواءً من أجل الإنفاق لأجل بني جلدته الأسرى من خلال وصف معناة الأسرى أو ذلك التاجر الذي ينوي على التجارة في المغرب، من خلال التوصيات المشددة في ما يجب عليه فعله وما لا يجب.

الملاحق

الملحق الأول:

صورة المولى إسماعيل العلوي الشريف ثالث سلاطين الدولة العلوية[1]

[1]. أنظر: محمد الصغير اليفرني :المرجع السابق، وهي صورة أضافها محقق الكتاب، ص44 .

الملحق الثاني:

81

ولكنه بمجرّد طلوعه إلى السفينة، قبل إقلاعها ونشر قلوعها، اطّلع على أنه يحمل معه مكاتب سرية كثيرة من الأسرى المغاربة إلى السلطان المولى إسماعيل وبعض الأفراد من سكان العدوتين السلاوية والرباطية، فحجزها في الحين، وردّه إلى البرّ، ولم يصحبه معه، حسبما سياتي بيانه وتفصيله.

وكان من جملة تلك المكاتب التي كتبها أولائك الأسرى الكتاب الذي أمضى عليه جمهورهم مخاطبين به سلطانهم المولى إسماعيل، واصفين له حالتهم السيئة، ومحنتهم الدائمة، راجين منه إصدار أوامره الشريفة بالتعجيل بإطلاق سراحهم، جاء فيه :

مرسيليا في 15 ربيع الثاني عام 1093

موافق 23 أبريل سنة 1682

كتاب عام من كافة الأسرى المستعبدين بسفن ملك فرنسا إلى سلطانهم المولى إسماعيل

سيدنا صاحب الجلالة، نصركم الله على جميع أعدائكم.

نعلمكم بأننا ندعو الله تعالى ليلاً ونهاراً أن يديم عافيتكم، وينصر جيوشكم، ونؤكّد لكم أن محبّتنا في سلطاننا منقوشة في أعماق قلوبنا.

جلالة مولانا.

نستأذنكم في حرية التعبير عمّا نلاقيه من الشّقاء والمحنة والحزن والألم من معاملة هؤلاء الكلاب الفرنسيين.

لا، يا مولانا، لا يوجد عذاب في الجحيم أكبر ولا أكثر مما يُعذّبوننا به هؤلاء الكلاب بلا شفقة ولا رحمة. وهذا العذاب عبارة عن الجوع والعرى والسّب المقذع فينا وفي ديننا المقدّس، ونبيّنا المعظّم، والازدراء بسلطاننا، واحتقار شعبنا، زيادة على الضرب المستمر، والسلاسل والأغلال التي تزن مائة لِيبْرَة[75] نسحبها معنا في جميع حركاتنا.

75) الليبرة توازي نحو نصف كيلو.

نص رسالة الأسرى المغاربة في مرسيليا للمولى إسماعيل[1]

[1] . ينظر: جعفر بن أحمد ناصر: سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، ج3، ص 82.83

الملحق الثالث:

104

أما بعد، فاعلم أنه ورد على مقامنا العلي بالله النصراني التاجر ولد إصطيلة القونص، وزعم أن بيده من عندكم أمر وتفويض، واستظهر لنا بمكتوب على لسانكم يدلّ على الإذن له في الكلام فيما يظهر له لدينا من مهمّاتكم وأغراضكم، ويتوسّط فيما يعرض لكم بحضرتنا العلية صانها الله، فلم نشك أنه مكتوبكم وإذنكم، غير أنا لم نعتمد على قوله، ولم نر الكلام معه في شيء من ذلك، لكونه تاجراً وليس هو من خواص أصحابكم، ولا من كبار خدّامكم، وأعيانهم لديكم، إذ ليس من شأن التجار الدخول في الكلام مع الملوك، وأن يكونوا وسائط فيما يعرض بينهم. فالتاجر إنما يتكلّم فيما هو من وظيفه فقط، إلاّ إذا كان التاجر يسعى في إبلاغ كلام هذا لهذا، أو حصول مواصلة أو حمل رسالة يقع بها بعث من الجهتين، فنعم. وهذا غاية ما يتحصل من كلام التاجر لا غير. فإن كان لكم غرض في الكلام بجدّ وخلوص نية فابعث إلينا واحدا من كبار أصحابكم الذين يوثق به ويُتكلّم معه، وياتينا بهذا القصد وبهذه النية.

وإن أحببتم أن نوجّه لكم نحن واحداً من خيار خدّامنا وكبار أهل بساطنا، العلي بالله، إبعثوا إلينا مركباً يحمله من عندنا، ونبعثه لكم بالإذن الصحيح.

وحاصل ما نتكلّم به معكم في هذه الأسارى التي لكم عندنا أن نعمل لكم فيها الفداء نصرانياً واحداً بمسلم، ولا نبتغي عندكم إلاّ من هو هنالك من أهل سلا والرباط وتطاوين وفاس والقصر ومكناسة الذين أُخذوا دون العشر سنين إلى ست سنين إلى أربع فأقل من ذلك، ومن سواهم من غير هذه البلاد المذكورة، ومن كان فوق العشر سنين لا نتكلم معكم فيه بشيء سوى هؤلاء الأسارى.

ولولا هؤلاء التجار من عندكم أزعجونا في الكلام والمراجعة في هؤلاء الأسارى الذين لكم عندنا، وأهلهم هنالك يزعجون هؤلاء التجار وهم يترادفون علينا بالقول في حجتهم كم من مرّة، ما ابتغينا فيهم كلاما، ولا عندنا هنالك أسارى تكبر علينا مسألتهم، أو من هُوَ معروف عندنا بوجهه إلاّ البحرية ومن هم من أمثالهم.

وإن اتفق رأيكم على بعث من تعيّنوه من خدّامكم، يأت معه بجميع من هو هنالك من الأسارى المذكورين إلى أقرب مرسى، ونتفاصل معه بوجه لائق ممكن، ونعطيه أساراكم، ونأخذ منهم المسلمين، هذا بهذا، ولا يرجع إلاّ مقضي الغرض إن شاء الله، والوجه اللائق بكم من بعث بعض أصحابكم، أو بعث المركب لصاحبنا إعملوا عليه، والله سبحانه الموفق للأمور والمعتمد عليه سبحانه.

والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب غرة ربيع النبوي المفضل عام ثلاثة ومائة وألف.

(غرة ربيع النبوي 1103/22 نونبر 1691)

نص رسالة من رسائل المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر بشأن فداء الأسرى[1]

[1] .ينظر: جعفر بن أحمد ناصر المرجع السابق، ص104

الملحق الرابع:

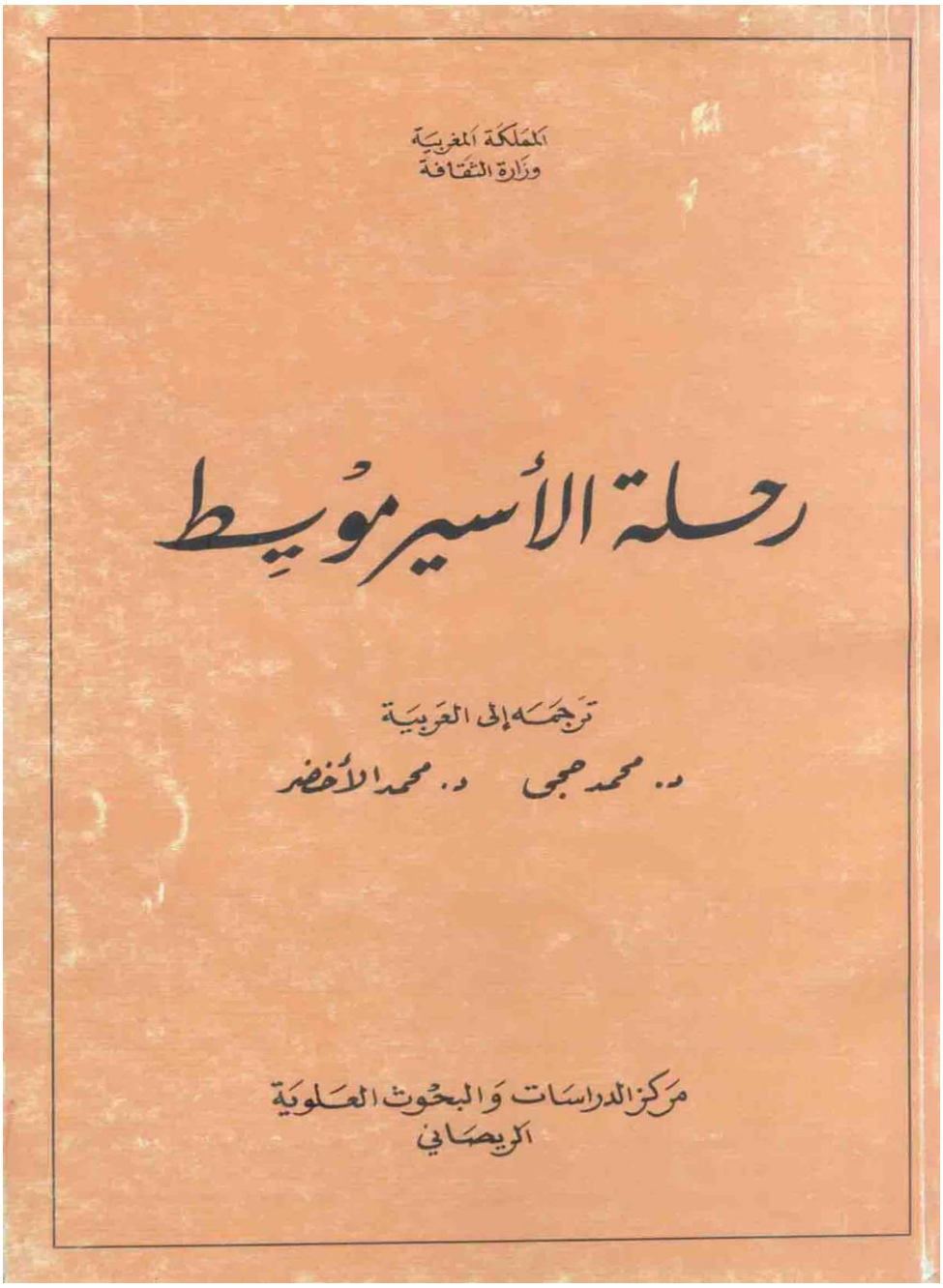

واجهة كتاب مذكرات الأسير جرمان مويط

قائمة المصادر و المراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافق

أولا_ المصادر العربية:

1_ الزياني أبو القاسم: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تح: رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون لإسلامية بالمملكة المغربية، د.ع.ط، 2007، د.م.ط.

2_ الزياني أبو القاسم : البستان الظريف في دولة اولاد مولاي الشريف (من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)، تح: رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية.

3_الضعيف الرباطي محمد: تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة) ، تح: أحمد العماري، دار المأثورات، ط1 ، 1971م.

4_ الغساني محمد الأندلسي:رحلة الوزير في إفتكاك الأسير (**1690**م **1691** /م)، تح: نوري الجراح، ط1 ،دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي،2002 .

5_ بن مصطفى المشرفي محمد بن محمد: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، جزئين، تح: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،ط1، 2005.

6_اليفرني محمد الصغير: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تح: عبد الوهاب المنصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1990

ثانيا_المصادر المعربة:

1_دي صالدانيا أنطونيو: أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تر و تح: إبراهيم بوطالب، دار الجمعية المغربية، 2011م.

2_كرابخال مارمول: إفريقياَ،جزئين، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م.

3_مويط جرمان: رحلة الأسير مويط، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية _الريصاني.

4_ميتلن ماريا: اثنا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1731_1743م، تر: بوشعيب الساوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2018م.

ثالثا_المصادر الأجنبية:

1. De castries henry: Moulay ismail et Jacques 2 une apologie de l'islam par un sultan du maroc, Editeur Ernest Leroux, Paris 1903.

رابعا_المراجع العربية:

1_الأزمي أحمد: العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان المولى إسماعيل، منشورات ما بعد الحداثة،2007.

2_أملي حسن:الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق،ط1 ، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء1997

3_التازي عبد الهادي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،عشر مجلدات،مطبعة فضالة، المحمدية المغرب،1988.

4_ جاسم محمد حيدر: لويس الرابع عشر، د.د.ن، د.ع.ط، د.م. ط ، د.ت.ط.

5_ جمال يحياوي: سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين1492م_1610هـ، دار هومة، بوزريعة الجزائر، 2004.

5_حجي محمد:الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياس ي ،المطبعة الوطنية،الرباط 1964.

6_ حركات إبراهيم: السياسة والمجتع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء1985

7_ الدكالي محمد بن علي: الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، تح: مصطفى بوشعراء، الخزانية العلمية الصبيحية، ط2، سلا_المغرب، 1996م.

8_ابن زيدان عبد الرحمن : إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، خمسة أجزاء، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مكتبة الثقافة الصينية، 2008م.

9_ ابن زيدان عبد الرحمن: العلائق السياسية للدولة العلوية، تح: عبد لطيف شاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ1999.

10_الناصري أحمد بن خالد : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة العلوية) ،سبعة أجزاء، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب والدار البيضاء.

11_ناصر جعفر بن أحمد : سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، جمسة أجزاء، تح:أحمد بن جعفر الناصر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2006.

خامسا_ المراجع المعربة:

1_كواندرو روجي: قراصنة سلا، تر: محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس.

سادسا: المراجع الأجنبية:

1_ Chantale de la veronne Leon : Vie de moulay ismail, paris 1974.

2_ Marteille jean: Mémoire d'un Galerien, paris 1928,p120.

سابعا_ المقالات المنشورة:

***في المجلات العربية:**

1_حليم سرحان: السفن الحربية في الجزائر خلال العهد العثماني دراسة مستمدة من النصوص التاريخية والوثائق، **في المجلة التاريخية الجزائرية**، جامعة بوضياف المسيلة، ع 05، ديسمبر 2017،

2_ بن سليمان المنيع عبد الله: تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة، **في مجلة البحوث الإسلامية**، ع59.

3_ الصقلي خالد: رسالة العلامة القاضي العربي إلى السلطان المولى إسماعيل العلوي في قضية الحراطين، في: **مجلة ليكسوس**، ع 21، فبراير 2018

4_عبد الرحمن محمود محمد: إدمان الأفيون والأفيونيات، **في مجلة أسيوط لدراسات البيئة**، ع 21، جامعة أسيوط، 2001م،

5_ فاروق النحاس حسام الدين وآخرون: اعتبارات تصميم الدرابزين الزجاجي في العمارة، **في مجلة العمارة والفنون**، ع05

6_ بن قومار جلول : جوانب من المظاهر السياسية بين الجزائر والمغرب في عهد المولى إسماعيل العلوي(1672_1727)، **في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع 27، جامعة غرداية_الجازائر، 2016

7_ نمير عقيل: السياسة الداخلية للمغرب الأقصى في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، **في مجلة دراسات تاريخية**، ع 135،2017

8_ مجهول: الموازين والمكاييل والأنصبة، في **مجلة واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم**، فلسطين،2011م.

9_مجهول:جبل طارق، الأمانة العامة للجنة الخاصة المعنية بحالة تنفيذ إعلان منح الاستقلال للشعوب المستعمرة، الجمعية العامة، 14 ماي 2001.

***في المجلات الأجنبية:**

1_Farouk Ahmed : Quelques cas d'évasions de captifs chrétiens au Maroc, fin XVIIe- début XVIIIe siècle, selon le père Dominique Busnot, ***Cahiers de la Méditerranée*** , n87, 15 juin 2014.

2_Maziane Laila :Les Captifs Europiens en terre Marocaine,au 17/18 esiecles,**cahiers de la mediterranée** ,n065,2002.

ثامنا:الرسائل الجامعية:

***بالعربية**

1_إيمان زلاطي:الحملات الأوروبية على الجزائر في العهد العثماني، في رسالة ماستر، إشراف بوشيبة ذهبية،جامعة مولاي الطاهر،سعيدة، 2016_2017.

2_بن قايد عمر: علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا)، في رسالة ماجستير،إشراف عمار بن خروف،تخصص تاريخ حديث، جامعة غرداية2011_2010م.

3_ بن قومار جلول: معركة واد المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا(1603_1578، في مذكرة ماجستير، إشراف عمار بن خروف، تخصص تاريخ، جامعة غرداية،2011_2010.

***بالأجنبية:**

1_ kninah Abdeslem: Image(s) francaise(s) du Maroc avant le Protectorat (XVIIe-XXe siecles), Dans une note de doctorat, Universite d'Avignon, Francais, 2015_2016.

المواقع الإلكترونية:

1_ الريفي وائل: أمجاد التاريخ في بلاد المغرب الأقصى، في موقع الأدارسة، http://aladdarssah.com/showthread.php?t=7161، تاريخ الإبحار 04/07/2014 على 11:21.

2_ بن محمد الحقيل إبراهيم، أعياد النصارى، في موقع مداد http://midad.com/، تاريخ الإبحار : 05/25/2021على 14:32.

فهرس المحتوسات

شكر وعرفان

الإهداء

الموضوعات: الصفحة

مقدمة.....01

الفصل الأول: المولى إسماعيل وعلاقاته الدبلوماسية مع فرنسا وإسبانيا (مسألة الأسرى)..11

أولا: المولى إسماعيل بين النظرة الغربية والمغربية.....12

ثانا: علاقات المولى إسماعيل الدبلوماسية مع فرنسا وإسبانيا(مسألة الأسرى) 19

1.علاقات المولى إسماعييل مع لويس الرابع عشر.....19

2.علاقات المولى إسماعيل مع كارلوس الخامس 29

الفصل الثاني: الأسرى المسيحيين في رحلة الأسير جرمان مويط.....32

أولا: الأسير الفرنسي جرمان مويط.....33

ثانيا: محن ومعاناة الأسرى حسب الأسير الفرنسي جرمان مويط.....34

الفصل الثالث: تاريخ المغرب الأقصى في كتابات الأسرى _جرمان مويط نموذجا_.....53

أولا:نماذج من أسرى أرخو للمغرب الأقصى.....54

ثانيا:تاريخ المغرب الأقصى الحديث من خلال رحلة الأسير جرمان مويط.....58

خاتمة.....81

الملاحق.....87

قائمة المصادر والمراجع.....91

الفهرس.....97

ملخص الدراسة

إنَّ عنصر الأسرى عنصر مهم في تشكيلة المجتمع في المغرب الأقصى الحديث، حيث كانت له مساهمات فاعلة في مختلف المجالات الحياتية فقد كان منهم النجارون والاطباء الجراحون.. وغيرها من المهام والأدوار التي مكنتهم من الدخول في علاقات مع المغاربة وبالتالي الاندماج جزئيا في المجتمع، كما مكنتهم من تدوين مذكرات مفعمة بالأحداث والمحطات التاريخية المهمة حيث كان لهذه الكتابات دور مهم جدا في التَأريخ لتاريخ المغرب الأقصى من نظرة غربية مسيحية حملت الكثير من الأسرار والتفاصيل التي لا يستغنى عنها الباحث في التاريخ ،والذي كان الأسير مويط وأسلافه من بين أبرز الأسرى الذين كتبوا مذكراتهم وتميزو بالإهتمام الكبير في تسجيل كل صغيرة وكبيرة فيها، حتى ما تناقلوه ولم يعايشوه بأنفسهم، خاصة تلك القصص المثيرة للأسرى أو الوصف العمراني الدقيق جدا الأمر الذي يبين لنا مدى إصرارهم على إيصال الفكرة بكل ما أتوه من جهد لكي يستفيد منها القارئ المسيحي من العامة سواءً من أجل الإنفاق لأجل بني جلدتهم الأسرى من خلال وصف معناتهم، أومن أجل ذلك التاجر الذي ينوي على التجارة في المغرب من خلال التوصيات المشددة في ما يجب عليه فعله وما لا يجب فعله.

تناولت مذكرات الأسير مويط جوانب كثيرة من حياة المغاربة واحداث بالغة الأهمية لكن الكثير منها كان يحمل في طياته مبالغة وتناقض واضحين للعيان، نتيجة التعصب الديني الذي تميز به هذا الأسير في بعض الأحيان خدمة لهدفه المنشود من الكتابة ، الأمر الذي يستدعي من الباحث توخي الحذر البالغ في بعض الجزئيات الحساسة من هذه الكتابات.

summary

The element of prisoners is an essential component in the formation of society in the modern Morocco, as it had active contributions in various fields of life, among them were carpenters and surgeons... and other tasks and roles that enabled them to enter into relations with Moroccans and thus partially integrate into society, as it enabled them to write notes full of events and important historical stations, where these writings had a very important role in the historiography of the history of Morocco from a Western Christian view that carried many secrets and details that are indispensable to the researcher in history, where the prisoner Muwait and his ancestors were among the most prominent prisoners who wrote their memoirs and were distinguished by the great interest in recording every tiny detail in it, even what they transmitted and did not experience themselves, especially those exciting stories of the prisoners or the very accurate urban description, which shows us the extent of their insistence on conveying the idea with all their efforts so that the Christian reader benefit from it, whether for the sake of expenditure for their fellow captives by describing their sufferings, or for the sake of that merchant who intends to trade in Morocco through strict recommendations on what he should do and not do.

The memoirs of the prisoner Mowait dealt with many aspects of the lives and major events in Morocco. However, many of them had clearly visible exaggerations and

contradictions, as a result of the religious fanaticism that characterized this prisoner at times in service of his desired goal of writing, which calls for the researcher to be very careful in some sensitive parts of these writings.